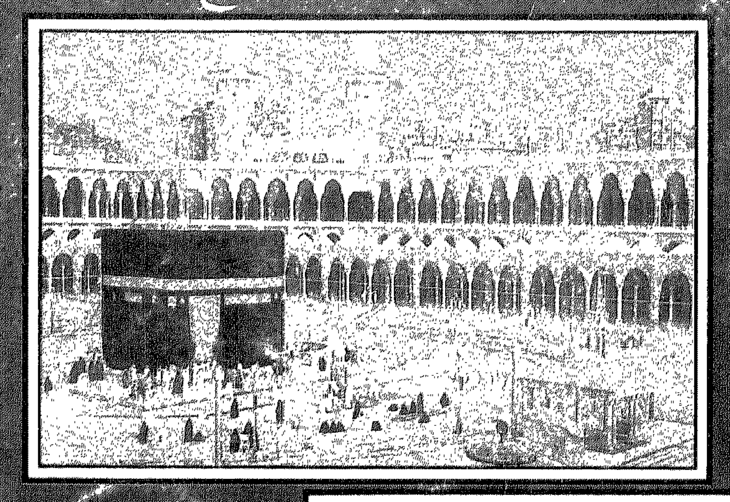
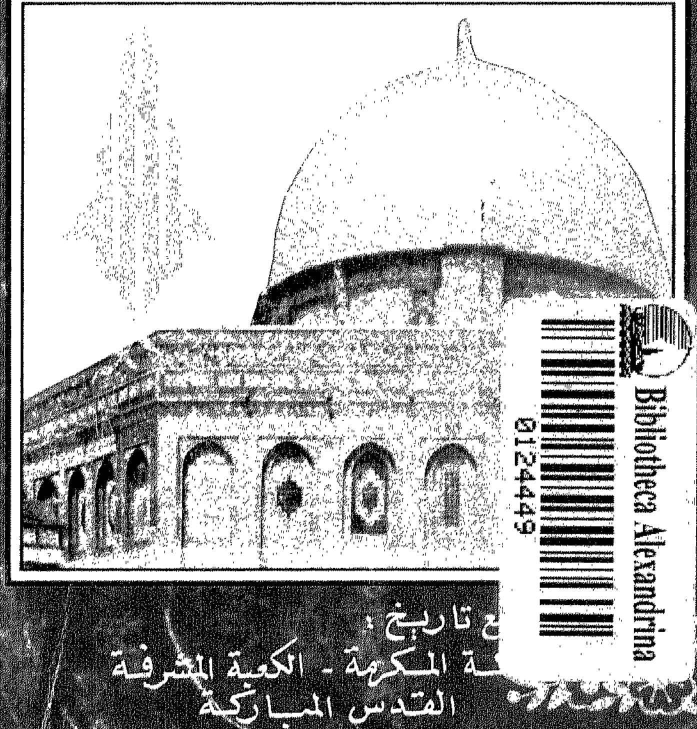
الفيوض الربانية فى الرحلة النورانية

معجزة الإسراء والمعراج



بسم الله الرحمن الرحيم
سُبحانَ الذي أسرى
بعبدِه ليلاً من
المسجدِ الحرام إلى
المسجدِ الأقصى
الذي باركنا حوله

صدق الله العظيم



محمد محمود صلاح
(أبو الدرداء)

… تاريخ :
… المكرمة - الكعبة المشرفة
القدس المباركة

مكتبة مدبولي
القاهرة

الفيوض الربانية في الرحلة النورانية

معجــزة الإســراء والمعــراج

الطبعة الأولى

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

الناشر

مكتبة مدبولي

ميدان طلعت حرب بالقاهرة - ج م ع

تليفون ٧٥٦٤٢١

الفيوض الرّبانيّة فى الرحلة النورانيّة

معجـــزة الإســراء والمعــراج

مع تاريخ

مكـة المكرمة - الكعبة المشرفة

القدس المباركة

محمد محمود صلاح

(أبو الدرداء)

مكتبة مدبولي

القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

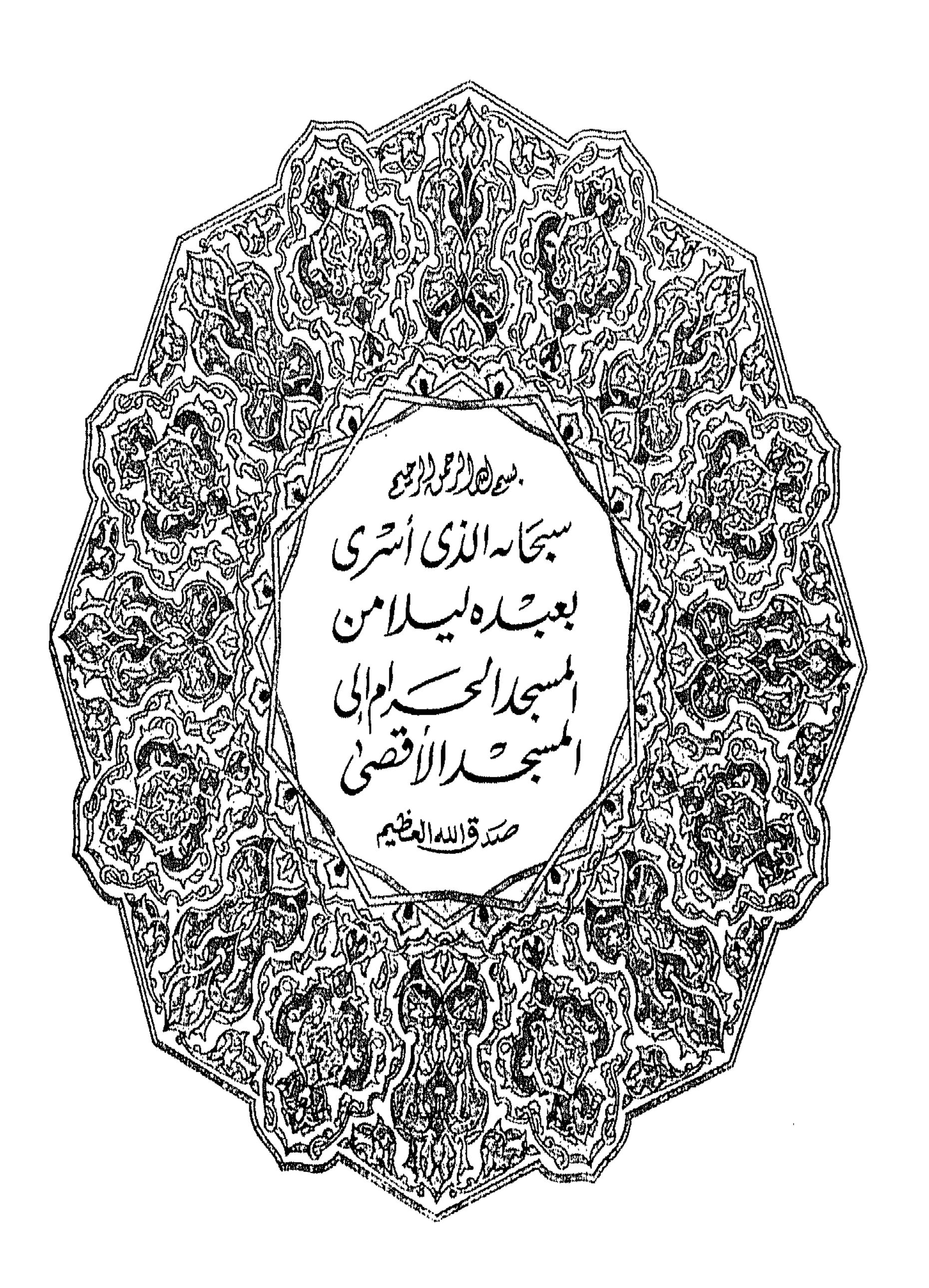
سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ

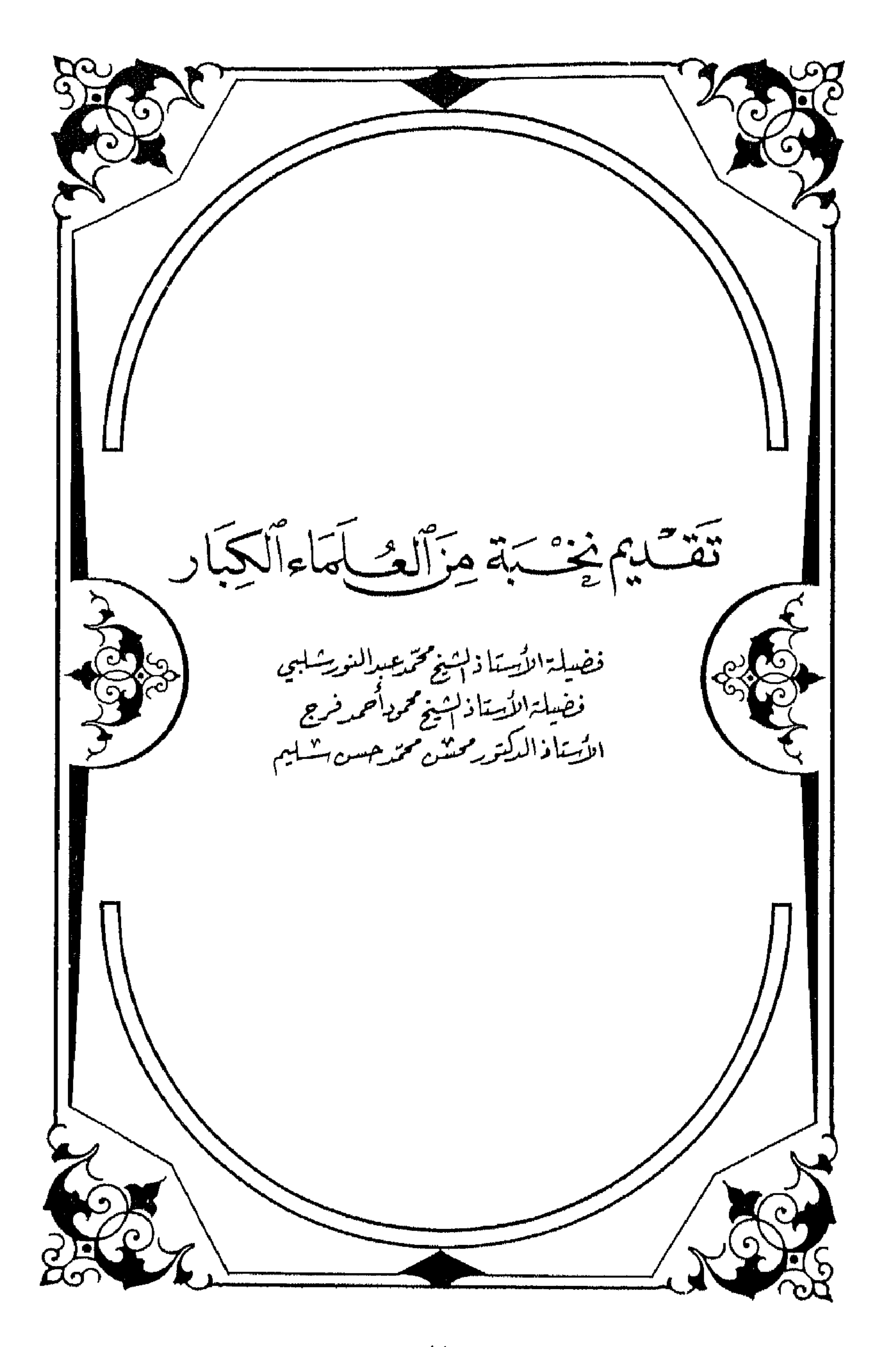
صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى
وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى
عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى
عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى

صدق الله العظيم


بسم الله الرحمن الرحيم
سبحانه الذى أسرى
بعبده ليلا من
المسجد الحرام إلى
المسجد الأقصى
صدق الله العظيم

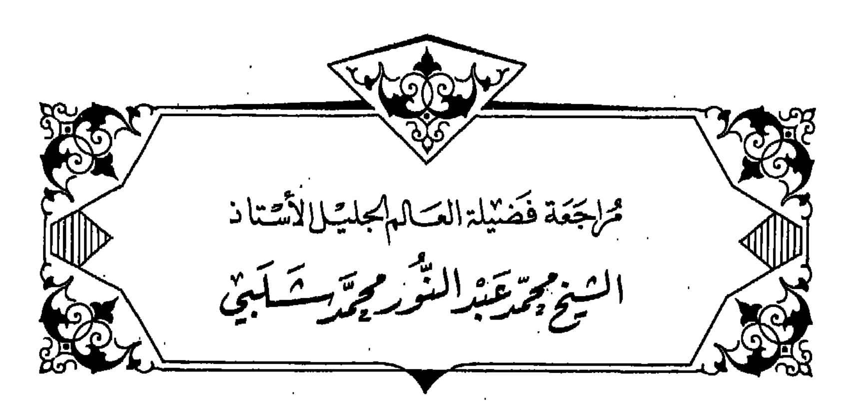


تقديم نخبة من العلماء الكبار

فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد النور شلبي

فضيلة الأستاذ الشيخ محمود أحمد فرج

الأستاذ الدكتور محسن محمد حسن سليم



الحمد لله الذي أتم هداه . . فأرسل محمداً رسوله واجتباه . . وبالإسراء والمعراج أكرمه وأرضاه . . والصلاة والسلام على المصطفى الرحمة المهداه . . صلاة وسلاماً تدني المحب من مبتغاه . . وبعد . . ففي الأمس القريب كان قد عهد إليَّ الكاتب الإسلامي فضيلة الأستاذ محمد محمود صلاح بمراجعة كتابه :

القطوف الدانية
في الأدعية الزاهية

الذي أخرجه في ثوب قشيب ، ودثره بعلم غزير أثرى به المكتبة الإسلامية ، وأشبع الروح الدينية . . ثم أردفه برائعة من رائعاته تتمثل في كتابه [النفحات الإلَهية في المناسك البهية] الذي جاء صنو السابق وها هو ذا يعهد إليّ اليوم بمراجعة درة من درره كتاب : الفيوض الربانية في الرحلة النورانية معجزة الإسراء والمعراج .

وراجعته فإذا صفحاته فرائد عقد ، وإذا محتوياته جواهر تاج ألبسوه مفرق مؤمن في محراب رباني ترنو بصيرته ، ويهفو قلبه لتلك الليلة التي رتلت فيها قيثارة الخلود رحلة اخترقت مقاييس البشر ،

وتجاوزت مفاهيمهم بخوارق حارت فيها الفكر ، وذهلت العقول بالكثير من العبر . . التي أرادها خالق القوى والقدر .

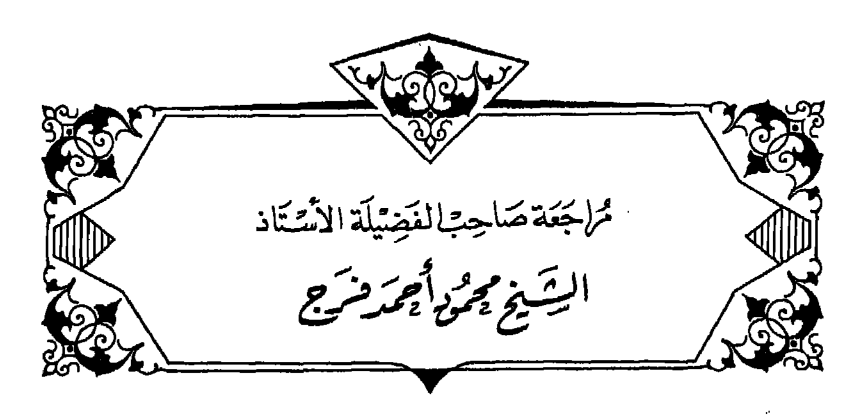
ولقد أختار المؤلف أن يركب الصعب فيقتحم مجالاً زلت فيه أقدام كثير من الباحثين والمفكرين ، فعكف على المراجع يستخرج منها البدائع ، يطوّف في الآفاق فيقطف الثمر ، ويفوض إلى الأعماق فيستخرج الدرر . متوخياً الدقة ، ناشداً المعلومة الحقة . .

وفي سيره مع الزمن يسرد الوقائع من البدء إلى المنتهى ويبلورها في بوتقة تنهال منها فيوض سابغة وتشع أنوار غامرة تتجسد في كتابه « الفيوض الربانية في الرحلة النورانية » الذي يصبح المنهل والمنتجع في « الإسراء والمعراج » دينياً ، وتاريخياً واعجازياً . . و« تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير . الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور » .

وأحسب أن المؤلف سوف يسير على الدرب بخطى ثابتة راسخة والله نسأل أن يجزل له الثواب جزاء ما يتحمل جاهداً في أشرف ميدان يرنو إليه إنسان متشحاً برداء العلم والايمان . .

محمد عبد النور محمد شلبي

مدير عام منطقة الدقهلية الأزهرية « سابقاً »



الحمد لله رب الايجاد والإمداد . . السميع البصير بمخلوقاته العباد . . والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد المصطفى البشير النذير . . وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين وآله وصحبه والمتقين . . أما بعد :

في استفاضة وتمحيص راجعت كتاب الكاتب الإسلامي فضيلة الأستاذ محمد محمود صلاح ، فألقيت أن المؤلف الذي جد في بحثه عن رحلة الإسراء والمعراج المقدسة ، قد أضفى عليها من أسلوبه الأدبي ، ودراسته الفاحصة ما ألم بأطرافها ونظم تسلسل مجرياتها بدء أو إنتهاء . . فإذا بها في إطار يتسامى وجلال الرحلة ، ويتعاظم وسمو المعجزة . .

ولقد رأيتني أستشف من خلال الأسطر حب الكاتب الصادق لخير الأنام ، ورسول الملك العلام . . ويطيب لي ذكر ما أستشفه من أن الهدف النبيل الذي أجتذب المؤلف إلى كتابة مؤلفه القيم هو رؤيته وقناعته بأن رحلة الإسراء والمعراج جديرة بأن تأخذ بألباب المؤمنين الذين يحبون نبيهم الرسول المختار الأمين . .

ولكأن الكاتب قد أحس منهم هذه اللهفة فعكف على بحث الرحلة من جميع جوانبها مراعياً تسلسل سردها سرداً زمنياً وربط أحداثها المباركة من مبدئها حتى نهايتها ، ثم يأتي ما تلا ذلك من طيش صواب المشركين مما أصابهم بالسكرة ولفهم في أردية الحيرة . .

غير أن المؤلف قد أتى بدراسة جادة مفحمة في الرد عليهم وعلى غيرهم ممن ألقوا بشبهات دحضها بالأدلة اليقينية التي أخذت تلقف وتدحض الشبهة بعد الأخرى ، فانتفت شبهاتهم وتبددت ترهاتهم هباء منثوراً .

وحتى تجيء الدراسة جامعة مانعة فإن المؤلف قد حرص على أن يدلل مؤكداً أن الرحلة المقدسة كانت بالروح والجسد ، ولا غرو فإنها من صنع الله خالق الأكوان ومقدر الأوقات والأزمان تبارك وتعالى سبحانه العزيز المنان .

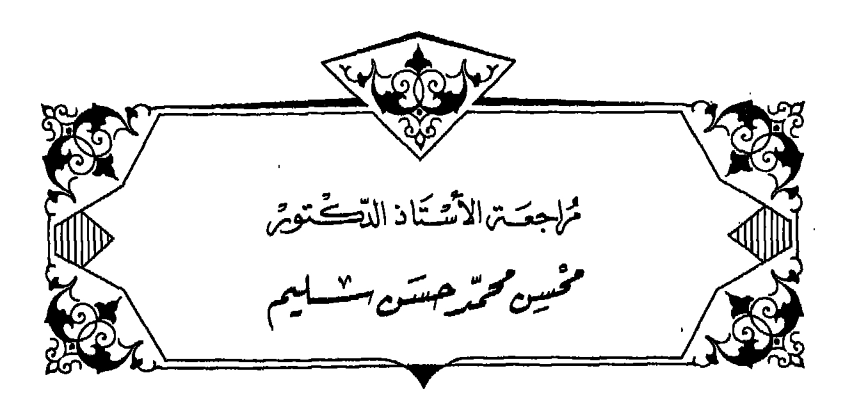
وقد كانت لفتة طيبة أن أتى الكاتب في مؤلفه بتواريخ الأماكن المقدسة والبقاع المباركة التي بدأت منها وإليها الرحلة النورانية ، فقد ضمت صفحاته تاريخ مكة المكرمة والكعبة المشرفة والقدس المباركة . . تلك الأماكن التي ترنو إليها أبصار المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وإليها تشد الرحال ، وعندها تتحقق الآمال . .

وإزاء هذا الصرح الديني والتاريخي الذي تبلور في كتاب :

الفيوض الربانية في الرحلة النورانية لا يسع المرء إلا أن يبتهل إلى واهب النعم جل علاه أن يجزي الكاتب الجزاء الأوفى ، ويوفقه

إلى أن يتحف المكتبة الإسلامية بدرة تالية غالية . . إنه سميع قريب مجيب الدعاء . . آمين .

محمود أحمد فرج
مفتش بالأزهر « سابقاً »



الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسول الهدى والخلق أجمعين . . وبعد :

لقد أتيح لي أن أراجع كتاب :

الفيوض الربانية

في الرحلة النورانية

فسرني ما لقيت فيه من إلمام طيب بالموضوع وبحث وافٍ لكل فقراته ، وقد تناول الكاتب الإسلامي الأستاذ محمد محمود صلاح فيما تناول . . تاريخ المسجد الحرام في عصوره المختلفة . . القديمة والإسلامية والوسيطة حتى عصرنا هذا ، وقد أفرد الكاتب باباً لبنايته وتجديده وتوسعته خلال العصور التي مرت به ، وكذلك أوفى عن الكتابة في تاريخ مكة نشأة وتطوراً . .

أما في الحديث عن المسجد الأقصى فقد كان شيقاً وممتعاً لا سيما وأن الكاتب قد ألمّ به إلماماً تاماً متتبعاً تاريخه من خلال تاريخ المنطقة ، وعصورها المتنوعة والضاربة في القدم حتى قيام الحكم الإسلامي بها ، كما تناول الكاتب تاريخ المنطقة وأحداثها خاصة بعد الحرب العالمية الأولى . . وفي براعة مدركة رتب تاريخ الأحداث ،

إلى ما بعد قيام الدولة اليهودية . . والتي تعد أم المشاكل في المنطقة العربية الآن .

فجزى الله الكاتب على كتابه خير الجزاء . . وأعانه على العمل في أشرف ميدان . . ميدان العلم والعلماء.

إنه سميع مجيب . . آمين .

دكتور / محسن محمد حسن سليم
استاذ التاريخ / جامعة الأزهر



مُناجاة .. ومدخل للمؤلف



﴿ **الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله** ﴾ صدق الله العظيم اللهمَّ لك الحمد في البدء ، ولك الحمد في المنتهى ، وبين البدء والمنتهى صراط أسألك .

أن يكون مستقيماً يبلغني مرضاتك ، ويدخلني بين المتقين جناتك . . لا إله إلا أنت سبحانك ، أنت الله الواحد الأحد . . الفرد الصمد . . الملك القدوس . . تعالت أسماؤك ، وتباركت صفاتك ، أنت الأول فلا أول قبلك ، وأنت الآخر فلا آخر بعدك ، الأمر كله إليك صائر . . ومن اتبع الهوى حائر . . من أطاعك سلك . . ومن عصاك هلك . . ولا حول ولا قوة إلّا بك . . فاللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطى لما منعت . . فأعطنا ولا تحرمنا ، وأكرمنا ولا تُهنا . .

اللهم إني أضرع إليك سائلاً الهداية فيما كتبت وأكتب مبتغياً وجهك الكريم . . وصراطك المستقيم . . ﴿ **صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين** ﴾ وأسألك الهداية إلى أقوم سبيل أنهل خير الزاد . . التقوى . . وأغفر لي يا مولاي الغفور إن أخطأت أو زللت . .

وصل اللهم وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد ، رسول الهداية ، ومبدد الغواية . . البشير النذير ، الداعي الأمين . . خير الخلق . . أحسنت خلقه وخُلقه ، وتربيته ، واصطفيته نبياً ورسولاً ، وحبيباً صفياً ، صلاة وسلاماً دائمين عليه وعلى آله وصحبه وتابعيه . . فإنك يا مولاي وسيدي سميع الدعاء . . مجيب النداء . . غزير العطاء . .

الراجي عفو ربه والفلاح
محمد محمود صلاح



مدخل

مكة بطاح وبيداء .. أهلها قلوبٌ صماء .. عبادتهم أصنام خرساء .. ومحمد رسول بشر وضاء .. في دعوته نور ونجاة وعطاء .. المشركون ويحهم سفهٌ وفحشٌ وإيذاء .. عمى فيهم كفر وغوغاء .. خير الخلق جحدوا إليه وأساؤوا .. تباً لهم خاب فألهم والرجاء .. أدركت رسول الهداية عناية السماء .. بمعجزتي الإسراء والمعراج ركب صحبه جبريل من سماء إلى سماء .. رأى الرسول آيات ربه وفيض العطاء ، وعند المنتهى والسدرة العصماء أنجز الله وعده ففي وعده الوفاء .

ويمضي الزمن .. وتمر السنون .. وتبقى معجزة الإسراء والمعراج خالدة خلود الزمن باقية بقاء الوجود ..

والإسراء رحلة أرضية مبدؤها المسجد الحرام بمكة المكرمة ومنتهاها المسجد الأقصى بالقدس الشريف ..

أما المعراج فهو رحلة إلى السموات العلى .. كان مبدؤها المسجد الأقصى ، ومنتهاها عند «سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى» حيث رأى النبي ﷺ من آيات ربه الكبرى وبلغ المستوى الذي سمع فيه صرير الأقلام ..

والإسراء والمعراج ، معجزتان ثابتتان بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ، توالت فيهما على صاحب الدعوة الخوارق والآيات والتكريم الرفيع الشأن مما لم يحظ به رسول من قبل . . والتأكيد على أن عناية الله ترعى نبيه وتكلأه ، وإن الله ناصره مهما اشتدت به الخطوب والأهوال .

فقد لاقى رسول الله ﷺ من الطغيان والإيذاء ما بلغ المدى . . من تنكيل واعتداء عليه وعلى المسلمين من المشركين منكري الدعوة الذين لم يكفهم ما لجوا فيه من صنوف الوحشية والقسوة ، فأجمعوا أمرهم وتعاقدوا في صحيفة المقاطعة والمحاصرة للرسول الأمين والمسلمين . . حصاراً امتد ثلاث سنوات إحتمى فيها النبي ﷺ وأهله والمسلمون بشعب من شعاب الجهل بظاهر مكة حتى شاء الله وانتهى الحصار . .

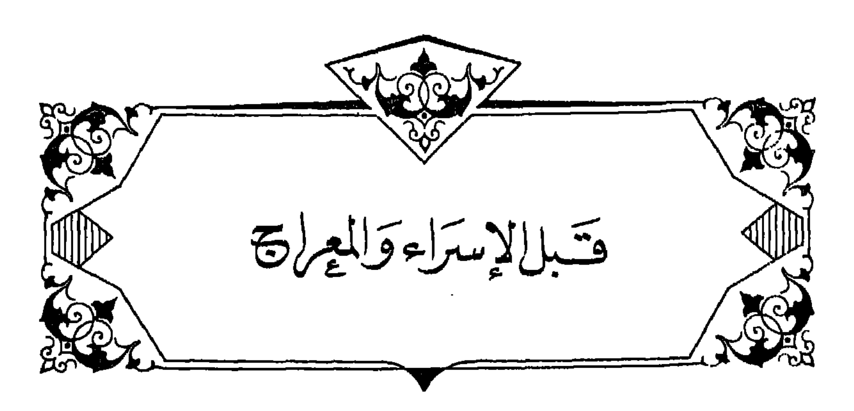
وكان أشد إيذاء أصاب النبي ، ذلك الذي لقيه من أهل الطائف الذين يعبدون « اللات » صنم ثقيف حرضوا عليه سفهاءهم وعبيدهم . . ولكنه ﷺ لجأ إلى ربه في أحلك ساعات الشدة . . ودعاه دعاء ضارعاً . . توالت عليه بعده الخوارق والآيات التي طيب الله بها خاطره وشرح صدره ، وثبت قلبه ، وبزغت شموس النصر . .

ومن أبرز الآيات ، وأخلد الخوارق معجزتا الإسراء والمعراج . .

أبو الدرداء



مُعاناة الأحْداث
قبل الإسراء والمعْراج



في العام العاشر من بعثته صلوات الله وسلامه عليه ، وكان الإسلام قد أخذ في الإنتشار بين شباب قريش الأشداء أمثال حمزة وعمر وغيرهما وراح يعلو شأنه في الآفاق والأمصار ، زاحت قريش من ناحيتها تزداد خصومة وإيذاء لرسول الله ﷺ والمسلمين ، إعتقاداً ساذجاً منها ، وأملاً فاجراً داعب أحلامها ، بأنها بهذه الخصومة ترد النبي عن دعوته ، وترد المسلمين عن إتباعه . . .

الحصار والمقاطعة

لما أيقنت قريش من أن النبي ﷺ لن تلين قناته ولن يحجم عن المضي في دعوته لدين الله الإسلام حتى يظهره الله أو يهلك دونه ، وأن خصومتها الفاجرة مهما قست فإنها لن تحول دون نشر الدعوة وظهورها ، أجمعت أمرها الباطل وإتفقت على مقاطعته ﷺ هو وبني هاشم وبني عبد المطلب بحيث لا يبيعونهم ولا يبتاعون منهم ، ولا يزوجونهم ولا يتزوجون منهم مع محاصرتهم في شعب أبي طالب ، وكتبوا بذلك صحيفة علقوها بجوف الكعبة توكيداً للحصار الذي عانى بسببه النبي ﷺ ، والمسلمون من الحرمان ألواناً ، ولم يكونوا يجدون في بعض الأيام طعاماً ولا ماء يدفعون بهما جوعهم وعطشهم ، ولولا

بعض أصحاب القلوب الرحيمة من قريش أمثال هشام بن عمرو وغيره ممن كانوا يحملون الطعام إلى النبي ﷺ وأصحابه سراً لهلكوا جوعاً ، وبعد ثلاث سنوات من هذا الحصار الذي بدأ ليلة هلال المحرم سنة سبع من البعثة أوحى الله إلى النبي عليه الصلاة والسلام أن الأرضة أكلت ما في الصحيفة ألا « باسمك اللهم » فذكر ذلك لعمه أبي طالب فذهب إلى كفار قريش وقال لهم : إن ابن أخي أخبرني أن الله قد سلط على الصحيفة الأرضة فمسحت ما بها إلا « باسمك اللهم » فإن كان صادقاً نزعتم عن سوء رأيكم وإن كان كاذباً دفعته إليكم فقتلتموه . . قال الكفار : قد أنصفتنا فأتوا بالصحيفة فإذا هي كما قال رسول الله ﷺ ، فقال لهم أبو طالب : علام نحبس وقد بان الأمر ، فتم فك الحصار وكان ذلك في السنة العاشرة من البعثة المحمدية ، وخرج الرسول ومن معه من المسلمين وعادوا إلى دورهم . .

الحصار أفاد الدعوة

وعلى عكس ما إبتغى المشركون ، وصناديد قريش ، فلقد أتى الحصار بخير بعد أن أراده المشركون شراً ، حيث أن أمره إنتشر بين العرب والقبائل وكان له أثر عميق في قلوب الكثير مما جعل الدين الجديد ـ الإسلام ينتشر أمره ويعظم ذكره ، ويعزز أتباعه بعد أن كان حبيساً بين جبال مكة ، محاطاً بكفار جاحدين تحجرت قلوبهم ، وإنحرفت مقاصدهم واسودت أعمالهم . .

عام الحزن

بيد أن المحن والأحزان كانت على موعد مع رسول الله ﷺ

والمسلمين قبل أن يستردوا أنفاسهم وتهدأ أفئدتهم فقد فاجأت النبي عليه الصلاة والسلام فاجعتان اليمتان أصابتاه بالأسى والحزن . .

وقد كانت الفاجعة الأولى عندما توفي عمه أبو طالب الذي كان له بأمر الله حمى وملاذا ونصيرا ، وأسرعت الفاجعة الثانية بوفاة شريكة حياته خديجة رضي الله عنها التي كانت له ملجا ومهونا عند المحن والشدائد .

قال النووي في شرح مسلم : مات أبو طالب ولرسول الله ﷺ تسع وأربعون سنة وثمانية أشهر واحد عشر يوماً . . وتوفيت خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها بعده لثلاثة أيام وقيل بثمانية أيام .

وقد أثرت هاتان الفاجعتان في نفس الرسول الكريم ﷺ ، تأثيراً مؤثراً فامتلأ حزناً وألماً ، حتى سمي هذا العام « عام الحزن » ولزم البيت ولم يكن يخرج إلا قليلاً . . . غير أن قريشاً لم تتوقف عن إلحاق الأذى برسول الله ﷺ ، وبالمسلمين ، فشددت النكير الأمر الذي جعله عليه الصلاة يحزن حزناً شديداً . .

في الطائف

وعندما إشتد سفه المشركين وأذاهم إلى حد بلغ المدى ضاق الرسول الأمين بهم ذرعاً ، وخرج إلى الطائف يصحبه زيد بن حارثة ، أملاً ورجاءً في أن يصادف بها من يستجيب لدعوة الهدى ، ويدخل في دين الله وينصره في نصرة الدين الحنيف ، ويعينه ويعوّضه عن فقد تأييد

أبي طالب عمه ، وخديجة زوجته رضي الله عنها ، . .
لموتهما . . . . . .

لكن الكفر يلج في الظلمات ويعنت في الطغيان ، ويصادف رسول الله عليه صلوات الله ورضوانه فيهم الجحود ، ويلقى منهم أشد الأذى ولقد جاء في السيرة الحلبية أن خير الخلق محمد ﷺ حينما وصل إلى الطائف قصد أشرافها وسراة القوم فيها وكانوا ثلاثة إخوة (عبد ياليل واسمه كنانة) ، و (مسعود واسمه عبد كُلالة) و (حبيب) أبناء عمرو بن عمير الثقفي . . . . قال أولهم لرسول الله عليه الصلاة والسلام :

« أنا أنزع كساء الكعبة ـ أي أمزقه إن كان الله قد أرسلك » .
وقال الثاني : « لم يجد الله أحداً غيرك يرسله » .

وقال الثالث : « والله لا أكلمك أبداً . . . لئن كنت رسولاً كما تقول فأنت أعظم خطراً (أي قدراً) من أن أرد عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أرد عليك . . . . . .

فإنهم قد صموا آذانهم ، واستكبروا وعموا ، وراحوا يغرون سفاءهم وعبيدهم على رمي خير الخلق رسول الرحمن بالحجارة ، حتى شج رأسه الشريف ، ودميت قدماه ، وكان زيد بن حارثة يحاول مستميتاً دفع الأذى عن الرسول ﷺ ، ولكن الخطب جلل ، والكفر خبل ، والشرك ضلال . . . ولجأ الرسول الأمين الصابر في دعوة الحق إلى حائط لعتبة وشيبة يحتمي به ، وجلس إلى ظل شجرة من عنب ، وأخذ يقلب وجهه في السماء ، ويتوجه إلى ربه شاكياً ضارعاً .

أجل لقد كانت الزوجة وكان العم من أسباب حمايته أما زوجه خديجة - رضي الله عنها - فهي التي قضت معه في بيت الزوجية ربع قرن من الزمان تذهب عنه الهموم والأحزان ، وتقف معه ، وتساعده في دعوته إلى الله ، فضلاً عن أنها هي أول من إستقبل خبر البعثة حين جاءها ترجف بوادره قائلاً : زملوني زملوني ففعلت ما قال حتى ذهب عنه الروع ، وأخبرها بما حدث له في « غار حراء » فإذا بها تبشره قائلة كلا ، أبشر ، فوالله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الدهر .

وأما عمه أبو طالب فهو الرجل الذي وقف يدافع عن ابن أخيه حين صدع بأمر الله ، وسخر جاهه وسلطانه في الذود عنه حيث كانت قريش تحسب له ألف حساب . وعلى الرغم من أنه مات على ملة السابقين من أجداده إلا أن الرسول حزن عليه حزناً شديداً وقال : « **ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب** » رواه ابن إسحاق .

نعم : بعد موت أبي طالب أصبحت قريش لا تهاب في محمد أحداً ، فأخذت تتفنن في إيذائه . حتى إضطر إلى أن يذهب إلى « الطائف » التي تبعد عن مكة نحو الخمسين ميلاً ليدعو قبيلة « ثقيف » إلى الإسلام ، فلم يكتفوا بالأعراض عن دعوته ، بل تطاولوا على شخصه الكريم حيث سلطوا عليه سفاءهم وأغروا به صبيانهم فوقفوا له يرمونه بالحجارة حتى سال الدم من قدميه الشريفتين ، فجلس يستريح في ظل بستان لابني ربيعة عتبة وشيبة ، كما سبق ذكره وكما هي عادته

رفع يديه إلى السماء يدعو ربه قائلاً :

شكوى رسول الله ﷺ إلى ربه

«اللهمَّ إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تنزل بي غضبك، أو يحل عليّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك» رواه ابن إسحاق .

الدعوة مستمرة

وحتى تستمر الدعوة المحمدية ، وتصير إلى نصر الله ، قيض الله رجلاً مشركاً هو المطعم ابن عدي ليدخل مع رسول الله ﷺ مكة ولم يتركه حتى انتهى إلى الركن فاستلمه عليه الصلاة والسلام وصلى ركعتين ثم إنصرف إلى بيته . . . ولم تكن قد فرضت الصلاة بعد . . . على الوجه الذي هي عليه الآن . . كما سنتبين فيما يأتي في قصة « المعراج » .

الله ناصر رسوله ، وعاصمه ومريه
من آياته الكبرى

أية آلام ، وأية متاعب تلك التي صيغت فواجع ، كان المشركون لها نوابع ، تفاقمت حتى زادت عن تحمل البشر . . . لكن الرسول ﷺ خير الصابرين ، وأشجع المكافحين ، والدعوة إلٓهية أعظم من كل ما في الحياة ، وفي سبيلها وهي سبيل الله الحق المبين تهون الأنفس والنفائس . . . . والله جلت قدرته وتعالت آلاؤه مع رسوله مؤيداً وناصراً ، ورافعاً له إلى المكانة الأسمى ، والمنزلة الأعلى . . . . . .

ثم عاد الرسول إلى مكة يستأنف فيها جهاده من أجل نشر الدعوة ، غير خائف أو يائس وبينما هو كذلك إذا بيد العناية الإلٓهية تمتد إليه لتكرمه بأعظم رحلة عرفتها البشرية هي : رحلة الإسراء والمعراج التي كانت مخرجاً من الضيق والشدة والمحنة ، كما كانت تسلية لقلب تحمل في سبيل الله كثيراً من الحصار والإيذاء .

فقد شاءت مشيئة الله القادر القائل للشيء كن فيكون ، أن يسري عن نبيه ويجزيه الجزاء الأوفى ويرفعه للدرجات الأعلى ، ويبين لرسوله الصابر الأمين المنزلة التي لم يرق إليها بشر قبله ولا بعده ، ويملأ قلبه سروراً بمشاهدة آياته الكبرى ، وفي الوقت نفسه يخزي الكافرين الذين آذوا الرسول الكريم وحاربوه وحاربوا دعوته ، فيلفت نظرهم إلى لون مبهر من تأييد الله لرسوله لعلهم يرجعون للصواب ، ويرتدعون عن الغي والضلال ، فمهما لجوا في الكفر وأوغلوا في الشرك ، وتمادوا في السفه ، فالله تعالى القوي القادر الخالق ناصر رسوله ومؤيده وعاصمه ،

فكانت معجزة الإسـراء والمعراج آيتـان من آيات الله الكبـرى أيد بهـا رسوله وحبيبه الكريم ، ومسح بها عن نبيه المتاعب والآلام وأذهب عنه الأحـزان ، ولقـد كـانت معجـزة الإسـراء والمعـراج صـاعقـة أذهلت المشركين أعداء الدين القويم وجعلتهـم سكارى وما هم بسكارى ولكن المعجزة أبهرتهم فـراحوا يتخبـطون ما بين مكـذب ومتردد ومتعجـرف يتـردون في دياجيـر الـظلمـات خـاسـرين ، ولكن الإسـراء والمعـراج حق . . . والرسول رسول الحق ، والله هو الحق المبين .



وإن سنة الله في خلقه التي لن تجد لها تبديلاً أن يبتليهم بالشدة ليأتي بعدها الفرج ، وبالمحنة لتأتي بعدها المنحة . . . كما أقتضت إرادته عز من خالق أن يكلل المجتهد بالنجاح بعد الكفاح ، وأن يفوز بالنصر بعد الجهاد . .

وقد تحقق هذا في حياة الرسول ﷺ . . . حيث بعث بين قوم عنت قلوبهم وكانت كالحجارة الصماء . . فآذوه وصبر على إيذائهم ، وعانى من صلفتهم وعتوهم وجاهد وصبر حتى كلل الله جهاده بالنجاح وأعقب صبره الجميل فوز لدعوته القيمة . . . . .

وهج الباطل إلى رماد

ولا جدال في أن للباطل في كل زمان ومكان ، من التسلط والتقاليد الموروثة ما يجابه به الحق ويقف له محاولاً حجب نوره الهادي عن الأبصار التي تستبشر بأشعة هذا النور الذي يملأ قلوب المهتدين . ولا يعتور هذا النور في بدايته ما ينبري له من القوة والثراء والجاه المعاند ينبهر ببريقه وسرابه نفوس تتوهم آمالها في الملذات الدنيوية العاجلة مفتونة بهذا الوهج الكاذب. . . ومتناسية أن هذا الوهج لا يلبث

أن يصير إلى رماد ليظهر ضياء الحق رغم تجبر المفتونين الذين ﴿ **يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون** ﴾ [التوبة ـ ٣٢] .

وقد جاء في منار الإسلام ـ ١/ شوقي أبو ناجي

(وعلى قدر عظمة الداعية يكون عظم الإبتلاء ، وأعظم الناس قدراً هم الأنبياء والرسل ، وعلى ذلك فهم أكثر الناس إبتلاء وصبراً ، حتى يظهر الله الحق ويبطل الباطل ، ﴿ **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين** ﴾ [آل عمران ـ ١٤٢] .

قصص
ابتلاء الأنبياء من الجاحدين

ويحفل القرآن العظيم بقصص الإبتلاء الذي لاقاه الأنبياء من أقوامهم المنكرين الجاحدين . . . .

فهو يحدثنا عن نوح عليه السلام واستهانة قومه بالوعيد : ﴿ **قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين** ﴾ [هود ـ ٣٢] .

وعن إصرار قوم هود ـ عليه السلام ـ على الكفر : ﴿ **قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين** ﴾ [هود ـ ٥٣] .

وعن ضلال قوم صالح ـ عليه السلام ـ ﴿ **قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب** ﴾ [هود ـ ٦٢] .

وعن الفساد المتوطن في قوم لوط : ﴿وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتظهرون﴾ [الأعراف ـ ٨٢] .

وعن تجبر قوم إبراهيم عليه السلام ﴿قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون قالوا أحرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين﴾ [الأنبياء ـ ٦٦ ـ ٦٨] .

وعن انفضاض قوم إلياس عنه وتكذيبهم إياه : ﴿وإن إلياس لمن المرسلين إذ قال لقومه ألا تتقون ـ أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين ـ الله ربكم ورب آبائكم الأولين ـ فكذبوه فإنهم لمحضرون﴾ [الصافات ـ ١٢٣ ـ ١٢٧] .

وعن بغي فرعون وتهديده لموسى ـ عليه السلام ـ ﴿قال لئن إتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين﴾ [الشعراء ـ ٢٩] .

وعن خبث بني إسرائيل مع السيد المسيح عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ ﴿إن الله ربي وربكم فأعبدوه هذا صراط مستقيم﴾ [آل عمران ـ ٥١] .

ويحكي القرآن عن رد فعلهم على دعوته : ﴿ ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ﴾ [آل عمران ـ ٥٤] .

ولم يكن محمد ﷺ بأقل بلاء من قومه ممن سبقه من الأنبياء والرسل ، ولا أقل صبراً على ما لاقى في أذى اقرب الأقربين ، فها هوذا عمه أبو لهب عندما نزل عليه ﷺ قوله تعالى : ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ الشعراء ـ ٢١٤ يصعد الصفا وينادي (واصباحاه) وهو النداء الذي كانوا ينادونه عند الحرب أو الأمر الجلل ، فلما أقبلت قريش

تسيل من شعابها حتى غص بهم المكان قال لهم : « أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم ، أكنتم مصدقيّ ؟ » قالوا : ما جربنا عليك كذباً قط . فقال لهم ﷺ « إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد . . إنكم لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ولتجزون بالإحسان إحساناً وبالسوء سوءاً وإنها لجنة أبداً أو لنار أبداً » .

فكان الرد الذي يفتقر إلى الحد الأدنى من العاطفة والعقل والمنطق عن عمه أبي لهب : « تباً لك ، ألهذا جمعتنا ؟ » .

صدمة نفسية شديدة

فكانت صدمة نفسية شديدة الوقع على النبي ﷺ من رجل شديد ، القرابة ، كان أولى به ـ وقد أغلق منافذ حسه ومشاعره وعقله ـ أن يترك المجاهرة بالعداء للأبعدين . . حتى تكفل الله من علياء سمائه بالرد عن نبيه ﷺ ﴿ تبت يد أبي لهب وتب ـ ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى ناراً ذات لهب ـ وإمرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد ﴾ سورة المسد .

وبالمقابلة مع موقف أبي لهب يجمل بنا أن نذكر موقف عمه الآخر «أبي طالب» الذي كان يحمي الحق ويدافع عنه ويتحمل الضيق في سبيله ، وقد رضي أن يعيش محاصراً ، هو وبنو هاشم وبنو عبد المطلب ، مضيقاً عليهم في الرزق وكل أسباب الحياة في حصار اقتصادي واجتماعي لم يعرفه المجتمع العربي من قبل ، قاطعتهم قريش ومن أنضم إليهم من بني عبد مناف وعلى رأسهم أبو لهب ، وكان الحصار على بني هاشم وبني عبد المطلب مؤمنهم وكافرهم .

ورغم زعم البعض أن ذلك كان لمجرد العصبية الجاهلية ، فهذا زعم مردود عليه بموقف عمه الآخر « أبي لهب » والحقيقة أن حب أبي طالب الشديد لابن أخيه الأمين ﷺ كان هو الدافع الـرئيسي وراء هذا الموقف النبيل .

ولنـا أن نتصور حـزن النبي ﷺ بعد مـوت هـذا العم الكـريم ، والذي يصوره قوله ﷺ : « **ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب** » فإذا أضيف إلى ذلـك ما أصـابه من وفـاة زوجته الحـانية التي آزرت الدعوة بكل ما تمتلك من جهد ومال ، وإن الرسول ﷺ ليذكر لها ذلك وفاء أمام السيدة عائشة عندما قـالت له : « قـد أبـدلـك الله خيراً منها » فيرد عليها ﷺ « **ما أبدلني الله خيراً منها وقد آمنت بي إذ كفر بي الناس وصدقتني إذ كذبني الناس ، وآستني بمالها إذ حـرمني الناس ، ورزقني الله منها الولد إذ حرمني أولاد النساء** » .

موقف السيدة خديجة

ويقول الشيخ محمد الغزالي : « إن خديجة من نعم الله الجليلة على محمـد عليه الصـلاة والسلام ، فقـد آزرته في أحـرج الأوقات ، وأعـانته على إبـلاغ رسالتـه ، وشاركتـه مغارم الجهـاد المر ، وواستـه بنفسها ومالها ، وإنك لتحس قدر هذه النعمة عندما تعلم أن من زوجات الأنبياء من خانت الرسالة وكفرن برجالهن وكنّ مع المشركين من قومهن وآلهن حرباً على الله ورسوله . . . . » .

﴿ضرب الله مثلاً للذين كفروا إمرأة نوح وإمرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل

أدخلا النار مع الداخلين ﴾ [التحريم - ١٠] .

ولهذا فقد سمّى الرسول ﷺ - العام الذي مات في عمه أبو طالب وزوجته السيدة خديجة « عام الحزن » .

وقد اشتد عليه الأذى ، وزادت جرأة المشركين .

روى مسلم عن ابن مسعود قال : « بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحابه جلوس ، وقد نحرت جزور بالأمس فقال أبو جهل : أيكم يقوم إلى سلا جزور بني فلان فيأخذه فيضعه على كتفي محمد إذا سجد ، فأنبعث أشقى القوم فأخذه ، فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه ، فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض وأنا قائم أنظر والنبي ﷺ ساجد ما يرفع رأسه حتى ذهب انسان فأخبر فاطمة ، فجاءت هي وجويرية فطرحته عنه ، ثم أقبلت عليهم تشتمهم فلما قضى النبي ﷺ صلاته رفع رأسه ثم دعا عليهم ثلاثاً ، ثم قال « **اللهم عليك بقريش ثلاث مرات** » ، فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته ، ثم قال : « **اللهم عليك بأبي جهل بن هشام ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وابن أبي معيط ، فوالذي بعث محمداً ﷺ بالحق لقد رأيت الذين سمى صرعى يوم بدر** » . .

وها هو ذا أبو جهل فيما يرويه البخاري بسنده عن ابن عباس : « مر أبو جهل بالنبي ﷺ - وهو يصلي فقال : ألم أنهك أن تصلي بالمسجد يا محمد ؟ لقد علمت ما بها أحد أكثر نادياً مني فانتهره النبي ﷺ فنزل قوله تعالى : ﴿ **فليدع ناديه سندعو الزبانية** ﴾ [العلق ١٧ - ١٨] .

وهذا هو النضر بن الحارث ـ ابن خالته ﷺ وقد تأججت الغيرة بين ضلوعه ، ويستنكر أن يؤتى محمد ﷺ الحكمة وما جلس إلى الحكماء ولم يضرب في الأرض مثله ، ووالده الحارث بن كلدة طبيب قريش . . وهما ـ النضر وأبوه ـ يتيهان على الناس لأنهما عرفا أجزاء الحكمة ، استكثر ابن خالته عليه أن يؤتى جوامع الكلم ولا ينال هو إلا النزر اليسير من حكمة الفرس وأساطيرهم وقصص رستم واسفنديار . . . بل حاول أن يقتله وقد رآه منفرداً أسفل ثنية الحجون لولا الرعب الشديد الذي هزه من الرأس إلى القدم حتى أحس كأنه يموت من الخوف ، كان ابن خالته هذا صاحب الرأي في الحصار ، وإن الغيرة الحمقاء والحسد المتأجج في صدره لينهشان في قلبه حتى قال : « لو نشاء لقلنا مثل هذا . . إن هذا إلا أساطير الأولين » فأنزل الله تعالى :

﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا ، لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين ، وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ، وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وما لهم إلا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام ، وما كانوا أولياءه، إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون ، وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية ، فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون أن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله ، فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون ، والذين كفروا إلى جهنم يحشرون ﴾
[الأنفال ٣١ ـ ٣٦] .

وتجاوز النضر كل صروف العداوة حتى راح يهزأ من القرآن استهزاء الجاهلين ، وجعل عمرو بن العاص يلقن الصبية أشعاره في هجو الرسول ﷺ .

ودخل الرسول ﷺ إلى الحرم من باب بني مخزوم ومد بصره بأبي بكر وعلي وبعض الصحابة قد جلسوا بالقرب من زمزم فمشى إليهم ، فوقعت عليه أعين سادات قريش فهبوا إليه مزمجرين وأخذوا يتجاذبونه وهم يقولون له ﷺ :

« أنت الذي جعلت الآلهة إلّهاً واحداً وجعل بعضهم يدفعه إلى بعض وما دنا من أصحابه أحد إلا أبو بكر حيث لم يحتمل أن يرى رسوله ونبيه وحبيبه بين أيدي المشركين يتجاذبونه فانطلق إليهم يضرب هذا ويدفع هذا وهو يقول : «**أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله** » ؟

وحين أراد ﷺ في أن يستقبل أهل ثقيف الدعوة فربما أكسبهم يسر العيش ونعومة الحياة رقة لم تتأت لقريش ، فاصطحب غلامه زيد بن حارثة وقطعاً على أقدامهما نحوا من عشرين ميلاً هي المسافة بين مكة والطائف ليضرب ـ ﷺ ـ في حديد بارد ، وقد عمد إلى سادة ثقيف ـ وأشرافهم غير أنه لم يجد فيهم استجابة . . فقد عميت بصيرتهم وطمس الكفر على قلوبهم .

نموذج رائع للجهاد

ومع أن هذه الرحلة لم تكن محققة الاستجابة إلا أنها كانت نموذجاً رائعاً من نماذج الجهاد في سبيل نشر الدعوة .

لقد أجابه أبناء عمرو بن عمير عندما دعاهم إلى الله تعالى بنكر

القول حتى إن أحّدهم ليقول له : أمـا وجد الله أحـداً يرسله غيـرك ؟ فكأنه يستنكر أن يكون هو الرسول ﷺ .

وقد روى موسى بن عقبـة أنه قعـد له أهـل الطائف صفين على طـريقه فلمـا مر جعلوا لا يـرفـع رجليـه ولا يضعهـا حتى رضخـوهمـا بالحجارة حتى أدموه ، فمضى وهما يسيلان دماً .

ولم يستطع النبي ﷺ أن يعود إلى مكة إلا في جوار المطعم بن عدي بعد أن رفض جواره الأخنس بن شريق وسهيل بن عمرو وعنـدما بعثت قريش أشرافها ليكلموه وقد طمع في أن ترق قلوبهم لتستقبل نور الهداية ، إذا بهم لا يزدادون إلا أعناتاً في مطالبهم المادية من تـوسعة أرضهم أو إحياء أمواتهم أو تحويل أرضهم إلى جنـات فيها قصـور من ذهب وفضة ، أو ينزل عليهم كسفا من السماء ، أو يرقى السماء على سلم ، وأن ينزل ومعه كتاب في قرطاس .

وإننا لنسمع صوت اللجاج المنبعث من عقول أشبه بـالحجارة أو أشد جفافاً على لسان عبد الله بن أمية بن المغيرة ـ ابن عمته عـاتكة ـ الذي يفضح نيته المبيتة على الجحود والنكران وهو يقول :

[١] « وايم الله لـو فعلت ذلك لـظننت أني لا أصدقـك »، وهو بهـذا يصرح بأن التكذيب سابق للدليل .

وهذه المطالب والرد عليها قد سجلها القرآن الكريم : **﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً ، أو تكون لك جنة من نخيـل وعنب فتفجر الأنهـار خلالهـا تفجيرا ، أو تسقط السمـاء كمـا زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا ، أو يكون لك بيت من**

زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً ﴾ [الإسراء ٩٠ - ٩٢] .

﴿ ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا أن هذا إلا سحر مبين ، وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر ثم لا ينظرون ، ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون ﴾ .

وتتعاقب الأيام . . والمعاندون يزدادون عناداً . . والنبي ﷺ يزداد إصراراً وصبراً على البلاء لا يواجه عنتهم وتكذيبهم إلا بما يتنزل عليه من وحي السماء ، حتى إذا ما ضاق صدر أحد أصحابه « خباب » بالإيذاء وطلب منه أن تتدخل السماء لردع وعقاب الجاحدين المعاندين ، قال له في غضب لينبهه إلى أهمية الصبر في سبيل الدعوة مهما كان الأذى شديداً : « لقد كان من قبلكم ليمشط بمشط الحديد وما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه » .

ويتوالى نزول الآيات التي تسري عن نفسه ﷺ وتدعوه إلى نبذ الحزن وأن يتمسك بأخلاق الأنبياء ﴿ لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم ، ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين ، وقل إني أنا النذير المبين ﴾ [الحجر ٨٨ - ٨٩] .

﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم ﴾ [الحجر ٨٧].

﴿ لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر ﴾ [المائدة ٤١] .

﴿ ولا يحزن قولهم إن العزة لله جميعاً ﴾ [يونس ٨٥] .

﴿ ومن كفـر فلا يحـزنـك كفـره ، إلينـا مـرجعهم فننبئهم بمـا عملوا ﴾ [لقمان ٢٣] .

﴿ فلا يحزنك قولهم ، إنـا نعلم مـا يسـرون ومـا يعلنـون ﴾ [يس ٧٦] .

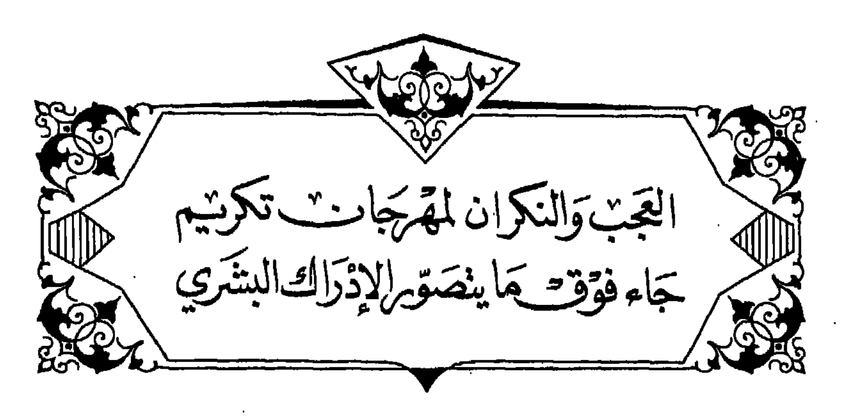
﴿ وحسبك أصحابك الذين اتبعوك بإيمانهم فإن النجاح لا يكتب إلا لداعية رقيق يفيض رحمة على من حوله ﴾ .

﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فأعف عنهم واستغفر لهم وشـاورهم في الأمر فـإذا عزمت فتوكيل على على الله إن الله يحب المتوكلين ﴾ [آل عمران ١٥٩] .

ليلة التكريم

وسط هذا الظلام المتراكم ، والبلاء الشديد الذي يتحمله صابراً محتسباً فإذا أشتد لا يزيـده إلا إصراراً على مـواصلة المضي في ثبات حتى يحق الله الحق ويبطل الباطـل . . تشاء حكمـة العلي الأعلى أن يقيم لنبيه ﷺ مهرجاناً عظيماً لتكـريمه فـوق ما يتصـور الإدراك البشري ، يبدؤه برحلة الإسـراء إلى بيت المقدس ، ثم يعـرج به إلى السمـوات العلى ليريه من آياته الكبرى ، وليكون الأنبياء في شرف استقباله كلما عـرج إلى سماء من السمـوات . . حتى إذا تمت الـرحلة هبـطوا معـه تكريماً وتعظيماً عند رجوعه من الحضرة الإلَهية العظيمة إلى بيت المقدس .

فـأنعم بها ليلة كـرم فيها خيـر الخلق ﷺ من رب العـالمين . . وكانت مثاراً للعجب والنكران والقلق من الكافرين الجاحدين .



العجب والنكران لمهرجانات تكريم جاء فوق ما يتصور الإدراك البشري

ولا محل للعجب فللقدرة الإلّهية من القوانين الحاكمة للكون ما يجعلنا لا نتساءل أبداً ما ـ دمنا مؤمنين ـ عن الأحداث الكونية فنقول: كيف حدث ؟ فهذا يعرض ايماننا لثلمة تعرضه للنقصان حتى نجدد التوبة ، ونحقق اليقين .

وقد ذكر القرآن الكريم أن الإجرام السماوية على ثقل كتلها ، ورحابة مساحاتها هي بين إصبعين من أصابع القدرة الإلّهية . يقول تعالى ﴿ يقلب الله الليل والنهار ﴾ [٤٤ النور] ﴿ إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا أن أمسكهما من أحد من بعده ﴾ [٤١ فاطر] ويقول ﴿ أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها ، رفع سمكها فسواها ، وأغطش ليلها وأخرج ضحاها ، والأرض بعد ذلك دحاها . أخرج منها ماءها ومرعاها. والجبال أرساها متاعاً لكم ولأنعامكم ﴾ [٢٧ ـ ٣٣ النازعات] .

ولا مكان للمقارنة بين الإسراء والمعراج ، وبين المخترعات الحديثة من طائرات وصواريخ وسفن فضاء فكيف يقارن عمل المخلوق بقدرة الخالق ؟ وكيف يجعل إنتاج العاجز مهما بلغ من قدرة ـ دليلاً على من بيده ملكوت السموات والأرض .

وحين تكون الوسيلة كالبراق المشتق أسمه من البرق ، يصبح حساب السرعة أمراً أقرب إلى العدم وأن هناك فرقاً بين الوحدة الزمنية الأرضية ، والوحدة الزمنية الكونية يصل إلى ٣٦٥,٠٠٠ ضعفاً وتارة يصل إلى ١٨,٢٥٠,٠٠٠ ووسيلة الإسراء كانت براقاً ، أي اشتقت من البرق ، وهو مما يشير إلى الإنسجام التام بين البراق والكون ، أي مع حركة الزمان والمكان ، وفي قوله ﷺ كما روى البخاري « **فجلى الله لي بيت المقدس** » دليل على عدم تأثير الزمان والمكان في هذه المعجزة.

وحين تتأمل الآية الأولى من سورة الإسراء وهي ﴿ **سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى** ﴾ نجد أن الأخبار عن تلك المعجزة تقدمه تسبيح الرب الذي صنعها ، وهي إشارة إلى أن الجليل وهو الرب سبحانه وتعالى صنع الجليل من العمل وهو الإسراء .

وإن المتأمل للقرآن الكريم يجد أن التسبيح لله سواء أكان خبراً عن مسبح له ، أم أمراً بتسبيحه يكون عقب الأمر العظيم ، أو الأمور العظام يصنعها الإله العظيم ، ففي سورة الواقعة من الآية ٥٧ ﴿ **نحن خلقناكم فلولا تصدقون** ﴾ إلى آخر السورة نجد الحديث عن النطفة وخلقها ، والموت والحرث والزرع ، والماء الذي نشربه ، وأنه لو شاء الله لجعله ملحاً أجاجاً ، والنار التي نوقدها ـ ثم نجد ﴿ **فسبح بإسم ربك العظيم** ﴾ ٧٤ / الواقعة ثم القسم بالنجوم على عظمة القرآن . . . وإخراج الروح ، وتقسيم الخلق إلى مقربين ، وأصحاب يمين ومكذبين ضالين ، وبيان نزل كل منهم ثم التعقيب بقوله تعالى ﴿ **فسبح بإسم ربك العظيم** ﴾ ٩٦ / الواقعة وهكذا في القرآن كله

يسبح الرب جل وعلا على قدرته على إحياء الموتى ، وإماتة الأحياء وخلق السموات والأرض في ستة أيام ، والاستواء على العرش ، وعلم ما يلج في الأرض ، وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها . . الخ ما ورد في أول سورة الحديد .

فإذا ما مضينا في سورة الإسراء فسوف يلاقينا ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾ الإسراء : ٩ ﴿ وجعلنا الليل والنهار آيتين ﴾ الإسراء : ١٢ ﴿ وكل إنسان الزمناه طائره في عنقه ﴾ الإسراء : ١٢ ﴿ تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ الإسراء : ٤٤ . ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ﴾ الإسراء : ٨٥ .

فإذا ما اقتربنا من آخر السورة . وجدنا التسبيح مرة أخرى ، ولكنه في هذه المرة حين يتلى القرآن الكريم يقول تعالى) ﴿ وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً . قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً . ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا ﴾ [الإسراء : ١٠٦ - ١٠٨] .

وهذه الآيات كلها تتحدث عن معجزات ، هي القرآن خاتم الكتب ومجلي الرسالات ، وجعل الليل والنهار آيتين إحداهما مبصرة والأخرى مظلمة ، ثم لزوم كل صحيفة عمل عنق صاحبها يوم القيامة ، حين تتطاير الصحف من تحت العرش فلا تخطىء صحيفة صاحبها . . وهكذا تفهم معجزة الإسراء إذا قرنت بالمعجزات الأخرى كإبراء الأكمة

والأبرص . والاتيان بعرش بلقيس في لمح البصر ، وناقة صالح . . الخ .

فأما أن نظل نبدىء ونعيد في المقارنة بين الإسراء والمعراج والصعود إلى القمر ، فذلك أمر أرجو أن نقلع عنه ، وخاصة إننا نحادث مسلمين يؤمنون بأن الله إذا أراد أمره فكان .

كما قال تعالى ﴿ **إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون * فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون** ﴾ [يٓس ٨٢ - ٨٣] .

وقد أشار القرآن الكريم والسنة المشرفة إلى شق صدره الشريف مرات منها ما كان قبيل الإسراء والمعراج استعداداً لذلك الحدث الجليل . كما أشار القرآن إلى أنها حدث كوني يقترن بتسخير الكون لله ، فبقاء النجم في مساره ، أو هويه منه هو بأمر الله ، وتسخير الأرض والسماء هو إشارة إلى أن كل الطاقات ينبغي أن تجند لخدمة الإسلام كما كانت مجندة ليلة إسراء النبي ﷺ ومعراجه ذاك حديث الإسراء ، فأما أنها حدث له أوانه ودقة تأقيته ، والأشخاص المتحركة قبله ومعه وبعده فيعيننا على تفهمه ، أن نطوي حاجز الزمن من القرن الخامس عشر الهجري إلى ما قبل الهجرة بعامين ، ثم نعيش الواقع ، واقع الفئة المؤمنة الصابرة المؤملة في نصر الله ، المتشبثة بدين الله على ما يجلبه لها من ضر وأذى وواقع الغالبية الكافرة في مكة المتربصة بالمؤمنين القاعدة لهم بكل مرصد ، الصابة عليهم عذاب الهون ، غير ملقية بالا لأنات بلال ، وآهات عمار ، وجوع سعد ، وإصرار سمية ، وصبر ياسر ثم النبي الكريم بمصابيه الداخلي والخارجي ، الأول ممثل في خديجة

الزوجة الوفية الحنون ، والثاني في أبي طالب العم الذي حفظ الأمانة ورعاها ، ودافع عنها برغم بقائه على دين آبائه ، ويوم أن مات ظنت قريش أنه قد خلي بينها وبين محمد ﷺ . فصبت غضبها عليه ألواناً . مرة بالخنق ، ومرة بالسب ، ومرة بإلقاء القذر عليه صلوات ربي وتسليماته عليه ، وهو ساجد لربه حتى ألجأته في النهاية إلى طلب النصرة من الطائف ، ولكن الأمر لم يكن هناك بأيسر منه هنا في مكة وحتى نعيش جو الإسراء والمعراج - ونوقن بأن تلك الفترة بشدائدها كانت جواً تربوياً رائعاً لتصفية النفوس ، وغرس الصمود . نعود إلى سورة القصص . وهي السورة التي تسبق سورة الإسراء في ترتيب القرآن حسب النزول . فماذا يقول رب العزة في سورة القصص لتلك الفئة المستضعفة في مكة ؟

إنه يذكرهم بفئة مؤمنة قليلة الحول والطول ، وملك جبار عتا واستكبر . ثم جاء المؤمنين نصر الله أنه قانون الله ، حين يعتو العتاة ، فيأخذهم ويمكن للمغلوبين من المؤمنين . يقول تعالى **﴿ نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون * إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين * ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين * ونمكن لهم في الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ﴾** [القصص ٢-٦] ثم يقص القرآن جو الخوف الذي عاشه موسى عليه السلام والترقب لنزول المكروه به من أعداء الله وتسخير الله له من يخبره بائتمار القوم به ، وخروج موسى مهاجراً من أرض مصر إلى ماء مدين ثم

مجيء الفرج . . في أرض مدين ، وتتابع النعم على رسول الله موسى عليه صلوات الله وتسليماته وتتابع المحن على أعدائه .

ومعظم السورة الكريمة دروس في الفرج بعد الشدة ، والعطاء بعد المنع والكثرة بعد القلة والنصر بعد الذلة ، وإرساء قانون البقاء للأدين يقول تعالى : ﴿ **وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين * وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون** ﴾ [القصص ٥٨ و ٥٩] .

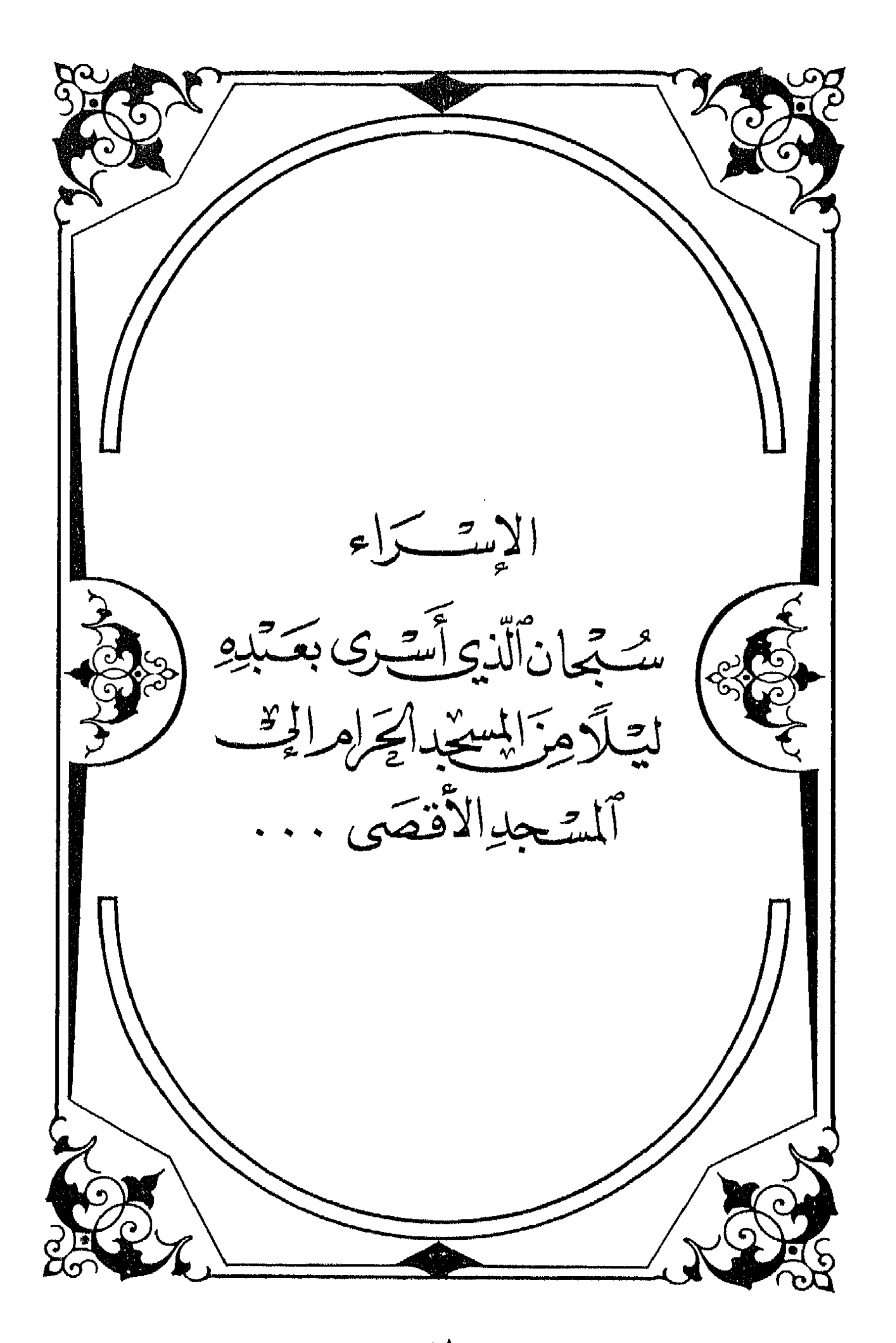
فأي درس في التثبيت . كان درس موسى وبني إسرائيل وفرعون ؟ وصدق الله العظيم .

﴿ **تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين** ﴾ [القصص ـ ٨٣] .

وبعد ذلك الدرس من سورة القصص . وتلك المقدمات لحادث الإسراء ، يأتي الإسراء حدثاً متفرداً في وسيلته ومرئياته ، وبعثة الملائكة المصاحبة للرسول الكريم، ثم يعلو ويعلو في المعراج فيتوج لحدث بما لم يره أحد قبل محمد ﷺ ، ثم تأتي نتيجة الحدث اختباراً لثبات المؤمنين فأما وسيلته ، فلم يسمع العرب بمثلها ، إنهم يعرفون ركوب الجمال والبغال والخيول والحمير والسفن في البحر ، فأما الطيران والسبح في الفضاء فلا يعرفونه ، ولم تكن البشرية يوم تخطي الرسول لكريم السموات وما فوقهن قد عرفت السفر في الفضاء ، أو السياحة فيه .

ثم هو حدث متفرد في مرائيه ، ما جسم منها الثواب كثواب المجاهدين في سبيل الله ، كالمجاهدين الذين يزرعون ، ويحصدون في يوم ، وكلما حصدوا عاد زرعهم كما كان .

وما جسم العقاب ، كتاركي الصلاة ، ومانعي الزكاة ، والمغتابين والزناة مما وضحته أحاديث الإسراء في كتب السنة المشرفة .



الإســراء

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ
لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى
الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى . . .

الإسراء هو السير برسول الله - ﷺ - ليلاً من المسجد الحرام بمكة المكرمة إلى المسجد الأقصى ببيت المقدس . قال تعالى : **﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ﴾** . ١/ الإسراء .

حينما نتدبر ونتفكر في هذه الآية الكريمة نقف على أسرار عظيمة من أسرار الإسراء .

فإن كلمة « سبحان » التي إفتتح الله بها الآية والسورة ، تعني تنزيه الله تنزيهاً مطلقاً عما يثيره كثير من الناس من جدل حول الإسراء ، وهي بذلك تهيء العقل البشري لتلقي ما سيأتي بعدها من قصة هذا الإسراء بالقبول والإذعان لأنه من صنع الله الذي يقول للشيء كن فيكون .

(أسرى بعبده) :

وصف الرسول بالعبودية في هذا المقام هو وصف له دلالته ، وكأن الله يشير به إلى أن هذا الرسول على الرغم مما وصل إليه من

مكانة لم يسبقه إليها أحد إلا أنه عبد لله وذلك حتى لا يلتبس مقام العبودية بمقام الألوهية كما حدث في العقائد المسيحية .

كما أن هناك دلالة أخرى لكلمة « بعبده » تتمثل في أن الإسراء تم بواسطة الروح والجسد معاً ليرد الله على من يتشككون في أمر الإسراء ، هل تم بوساطة الروح وحدها أو بوساطة الجسد وحده ، أو بهما معاً . فلا يمكن أن يقال عن الروح وحدها « عبد » ولا عن الجسد وحده « عبد » .

فإذا ما أضفنا كلمة « أسرى » إلى كلمة « بعبده » إتضح لنا أن الإسراء ليس من اختيار الرسول أو صنعه ، وإنما هو صنع قدرة لا تخضع لمقياس الزمان أو المكان هي قدرة الله ـ عز وجل ـ وهذا رد قاطع على من ينكرون أمر الإسراء ويقولون / كيف يقطع محمد هذه المسافة من مكة إلى بيت المقدس في جزء يسير من الليل على حين أن الغير تقطعها شهراً ذهاباً وشهراً إياباً وكأن الله يقول لهم : إن محمداً لم يقع منه الفعل وإنما وقع عليه الفعل والذي فعل به هذا الفعل هو أنا ، فخففوا عن أنفسكم .

لذلك نرى الرسول في أحاديثه عن الإسراء يؤكد أن الله هو الذي أسرى به فيقول في بعضها ورأيت ليلة أسرى بي . . . وفي بعضها الآخر : « **مررت ليلة أسرى بي . . .** » أو يقول : « **أتيت بالبراق** » .

وكلمة « ليلاً » تأتي لتؤكد أن الحدث تم في جزء يسير من الليل حيث ذهب الرسول وعاد خاصة إذا علمنا أن كلمة « أسرى » نفسها تحمل معنى الحدث وزمانه فهي من السرى وهو السير ليلاً ولكن الله

ذكر زمان الحدث لئلا يتوهم بعض الناس أن الرسول كان ذهابه فقط في الليل أما رجوعه فربما يكون في النهار .

و « من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى » .

المسجد الحرام يوجد في مكة المكرمة التي جاء ذكرها في القرآن الكريم حيث قال الله ـ عز وجل :

﴿ إن أول بيت وضع للناس للذي بمكة مباركاً وهدى للعالمين ﴾ ٩٦/ آل عمران .

وهو البيت الذي رفع قواعده إبراهيم وإسماعيل كما جاء في القرآن حيث قال الله تعالى :

﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ﴾ ١٢٧ / البقرة .

والمسجد الأقصى يوجد في بيت المقدس ، وهو مكان مبارك هبط فيه الوحي على كثير من الأنبياء قال ابن كثير في تفسيره : « المراد بالمسجد الأقصى بيت المقدس الذي بإيلياء معدن الأنبياء من لدن إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ولهذا جمعوا له هناك كلهم فإمهم (أي محمد ـ ﷺ ـ) في محلتهم ودارهم فدل على أنه الإمام الأعظم والرسول المقدم ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين » فالمسجد الأقصى والمسجد الحرام مباركان ومبارك ما حولهما .

فالإسراء هو السير ليلاً ، وهو في الآية الشريفة إنتقاله صلوات الله عليه وسلامه ليلاً من المسجد الحرام بمكة المكرمة إلى المسجد الأقصى ببيت المقدس . .

وقد وقع الإسراء بعد شق الصحيفة ، وقبل بيعة العقبة ، وقبل هجرته صلوات الله وسلامه عليه إلى المدينة المنورة ، وقد ورد أنه كان يوم الاثنين ليلة السابع والعشرين من شهر رجب في جزء يسير من الليل«١» ويؤيد هذا ما رواه ابن أبي شيبة عن جابر وابن عباس رضي الله عنهما . . . قالا : ـ « ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين وفيه بعث ، وفيه عرج إلى السماء وفيه مات » .

بداية الرحلة

وقد بدأت رحلة الإسراء من مكة إتفاقاً ، وجميع الآثار الواردة بشأن الإسراء تبين إنه بينما كان النبي ﷺ ببيت آل أبي طالب الذي يموج بأبناء عمه الذين أصروا على إقامته بينهم بعد موت زوجته خديجة رضي الله عنها ، أتاه جبريل الأمين عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ـ ليلاً فحمله إلى المسجد الحرام ومنه إلى باب المسجد فأركبه البراق . . . . وبدأت الرحلة المباركة .

وقيل أن النبي ﷺ كان في المسجد الحرام بين النائم واليقظان . . . وجاء جبريل وميكائيل فأيقظاه وشقا صدره وملآه بالعلم والمعرفة وكان معهما البراق فركبه النبي ﷺ .

وقد روى الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى بالبراق ليلة أسرى به مسرجاً ملجماً ، فاستصعب عليه فقال له جبريل عليه السلام : ما حملك على هذا ؟ وفي رواية « أما تستحي . ما ركبك خلق قط أكرم على الله منه فأرفض » أي إبتل « عرقاً وكأن البراق أجاب بلسان الحال متبرئاً من الإستصعاب وعرق من خجل

العتاب » . . وهذا يعتبر نوعاً من تكريم النبي ﷺ .

البراق

جاء في وصف البراق :

أنه دابة ، أبيض طويل ، فوق الحمار ودون البغل ، يضع حافره عند منتهى طرفه ، مضطرب الأذنين ، إذا أتى على جبل إرتفعت رجلاه وإذا هبط إرتفعت يداه ، وكان يرجع إلى حالة من إستواء قوائمه إذا وصل إلى الأرض المستوية رفقاً براكبه وتعظيماً له وتكريماً . . . وورد أن إبراهيم عليه السلام كان يركبه كلما ذهب إلى البيت الحرام لزيارة إبنه إسماعيل عليه السلام .



الرحلة المباركة من قول الرسول ﷺ

جاء في إسناد صحيح رواه الإمام البيهقي قوله ﷺ : « فانطلقت تهوي بنا يقع حافرها عند منتهى طرفها حتى بلغنا أرضاً ذات نخل فأنزلني فقال : صل ...... فصليت ثم ركبت ، فقال : أتدري أين صليت ؟ قلت الله أعلم . قال صليت بيثرب ، صليت بطيبة » ....

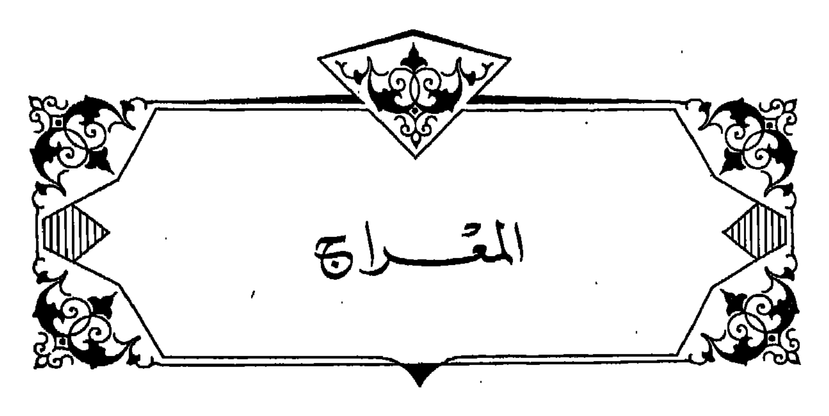
ثم إنطلقت تهوي بنا يقع حافرها عند منتهى طرفها ثم بلغنا أرضاً قال : إنزل ، ثم قال : صل فصليت ثم ركبنا ، قال : أتدري أين صليت ؟ قلت : الله أعلم ، قال : صليت بمدين عند شجرة موسى .

ثم إنطلقت تهوي بنا يقع حافرها حيث أدرك طرفها ، ثم بلغنا أرضاً بدت لنا قصور ، فقال : « انزل فنزلت ، فقال : صل ، فصليت ، ثم ركبنا فقال : أتدري أين صليت ؟ قلت : الله أعلم ، قال : صليت ببطن لحم حيث ولد المسيح من مريم » . ثن إنطلق بي حتى دخلنا المدينة « أي بيت المقدس » .

فربط الرسول ﷺ البراق بالحلقة التي يربط بها الأنبياء ثم دخل المسجد وكان في إنتظار قدومه - ﷺ - جميع الأنبياء فأذن جبريل

للصلاة ، وأقامها ميكائيل . فطلب النبي من جبريل أن يؤم الأنبياء فامتنع ، وقال له : تقدم يا محمد فأنت إمام الأنبياء ، وأنت اللبنة النهائية التي أكمل بها صرحهم الشامخ ، فتقدم النبي وصلى بهم ركعتين . ويقول الرسول ﷺ بعد الصلاة : « **أتاني جبريل بإناء من خمر ، وإناء من لبن ، فاخترت اللبن ، فقال جبريل إخترت الفطرة** » . . . .

ثم خرج النبي ﷺ والملأ الملائك حوله وفي إنتظاره المعراج ليعرج به إلى السماء . . . وإلى سدرة المنتهى .



المعـــراج

قال تعالى : ﴿ والنجم إذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى ، علمه شديد القـوى . ذومرة فاستـوى ، وهو بـالأفق الأعلى ، ثم دنا فتـدلى ، فكـان قـاب قوسين أو أدنى ، فأوحى إلى عبده ما أوحى ، ما كذب الفؤاد ما رأى ، افتمارونه على ما يرى ، ولقد رآه نزلة أخرى ، عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى ، إذ يغشى السدرة ، ما يغشى ، ما زاغ البصر وما طغى ، لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾ ١ - ١٨/ النجم .

وقصة المعراج تعددت بشأنها الأحاديث والروايات وتـوالت عما تبدى للنبي ﷺ فيها من آيات ربه الكبرى .

والمعراج في اللغة: اسم آلة بمعنى السلم أو المصعد مشتق من العروج بمعنى الصعود ومنه قوله تعالى : ﴿ ومعارج عليها يظهرون ﴾ الزخرف آية ٣٣ .

وهـو هنا الإرتقـاء برسـول الله - ﷺ - من المسجد الأقصى إلى السموات العلا وإلى سدرة المنتهى .

تأتي هذه الآيات موضحة ومؤكدة لآيـة سورة الإسـراء التي علل

الله فيها الإسراء بقوله : ﴿ لنريه من آياتنا ﴾ آية الإسراء ومعنى ذلك أن الله أراد بالإسراء أن يُري عبده محمداً بعض آياته التي أوضحت آيات سورة النجم إنه قد رآها وشهدها بالفعل .

وفي سورة النجم بدأ الله الآيات بالقسم بالنجم وهذا يسمى عند أهل البلاغة « براعة الإستهلال » حيث أن الصعود إلى السموات يناسبه القسم بالنجم إذا هوى .

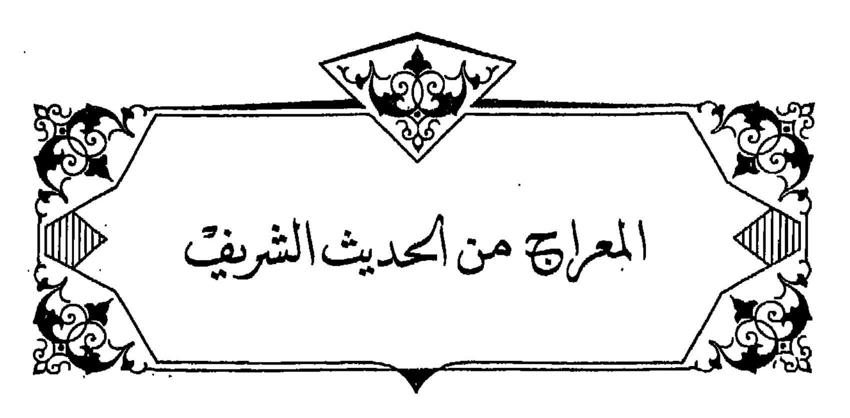
ثم يأتي جواب هذا القسم نافياً الضلالة والغواية عن رسول الله في كل شيء سواء في تبليغ الدعوة أو في خبر الإسراء والمعراج ، ومزكياً للسانه - ﷺ - في كل ما ينطق به .

وكذلك يزكي الله في هذه الآيات معلمه جبريل عليه السلام : ﴿ **علمه شديد القوى** ﴾ [النجم : ٥] ويزكي فؤاده : ﴿ **ما كذب الفؤاد ما رأى** ﴾ [النجم : ١١] ويزكي بصره : ﴿ **ما زاغ البصر وما طغى** ﴾ وهذا تأكيد من الله بأن الإسراء والمعراج تما بوساطة الروح والجسد معاً لأن البصر لا يوجد في الروح وإنما توجد فيها البصيرة أما هو فيوجد في الجسد .

وفي المعراج ورد حديث أخرجه البخاري في « كتاب الصلاة » وأخرجه مسلم في كتاب « الإيمان » وأخرجه النسائي في « كتاب الصلاة » وذكر الإمام السيوطي أن قصة المعراج وردت مطولة ومختصرة عن أكثر من ثلاثين راوياً من الصحابة رضوان الله عليهم ، وسرد هذه الروايات في كتابه « الخصائص الكبرى » وذكر في « الآية الكبرى » أن أتقن روايات المعراج وأجودها ، حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن

أنس رضي الله عنهما ، ذكرا أن هـذا الحديث قـد سلم من التعارض الذي شاب غيره .

وإتبـاعاً لهـذا يجمل ذكـر الحديث الـذي رواه الشيخان واللفظ لمسلم في باب « بدء الوحي » .



المعراج من الحديث الشريف

قال مسلم : حدثنا شيبان بن فروج ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا ثابت البنان ، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : ـ

« أتيت بالبراق / وهو دابة ، أبيض طويل فوق الحمار ، ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه / قال : فركبته حتى أتيت بيت المقدس .

قال : فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء . . قال : ثم دخلت المسجد ، فصليت فيه ركعتين ثم خرجت ، فجاءني « جبريل » عليه السلام ـ بإناء من خمر ، وإناء من لبن ، فاخترت اللبن ، فقال جبريل « اخترت الفطرة » .

ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح « جبريل » فقيل من أنت؟ قال : جبريل. فقيل : ومن معك . . قال : محمد ﷺ ، قيل أو قد بعث إليه . قال : بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير . ثم عرج بنا إلى السماء الثانية ، فاستفتح جبريل / عليه السلام / فقيل : من أنت ؟ قال جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ﷺ ، قيل : أو قد بعث إليه . . قال : قد بعث إليه . . ففتح لنا ، فإذا أنا

بابني الخالة عيسى بن مريم ، ويحي بن زكريا / صلوات الله عليهما / فرحبا بي ودعوا لي بخير . . ثم عرج بي إلى السماء الثالثة . . فاستفتح جبريل ، فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل . . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ـ ﷺ ـ قيل : أو قد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ففتح لنا ، فإذا أنا بيوسف ـ عليه السلام ـ إذا هو قد أعطى شطر الحسن ، فرحب ودعا لي بخير .

ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة ، فاستفتح جبريل ـ عليه السلام ـ فقيل من هذا ؟ قال : جبريل قيل : ومن معك ؟ قال محمد ، وقيل أوقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا . فإذا أنا بأدريس فرحب ودعا لي بخير . .

قال الله عز وجل ﴿ ورفعناه مكاناً علياً ﴾ .

ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة ، فاستفتح جبريل . فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ﷺ ، قيل : أوقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا ، فإذا أنا بهرون ـ ﷺ ـ فرحب بي ودعا لي بخير . .

ثم عرج بنا إلى السماء السادسة ، فاستفتح جبريل ـ عليه السلام ـ فقيل من هذا ؟ قال : جبريل قيل : ومن معك ؟ قال : قال : محمد ﷺ ، قيل : أوقد بعث إليه ، قال : قد بعث إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بموسى ـ ﷺ ـ فرحب ودعا لي بخير . .

ثم عرج بنا إلى السماء السابعة ، فاستفتح جبريل فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ـ ﷺ ـ قيل :

أوقـد بعث إليه ؟ قـال : قد بعث إليـه . . ففتح لنـا فإذا أنـا بإبـراهيم ـ ﷺ ـ مسنـداً ظهره إلى البيت المعمـور ، وإذا هو يـدخله كـل يـوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه «١» .

ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى ، وإذا ورقها كآذان الفيلة ، وإذا ثمرها كالقلال : قال : فلما غشيها من أمر ربي ما غشى تغيرت فما أحد من خلق الله يستـطيع أن ينعتهـا من حسنها فـأوحى الله إلى مـا أوحى ففرض عليّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة . فنزلت إلى موسى ـ ﷺ ـ فقال ما فرض ربك على أمتك ؟ فقلت خمسين صلاة . . قال : إرجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، أمتك لا يطيقون ذلك ، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم .

قال : فرجعت إلى ربي فقلت : يـا رب خفف على أمتي فحط عني خمساً فرجعت إلى مـوسى فقلت : حط عني خمساً ، قـال : إن أمتك لا يطيقون ذلك ، فإرجع إلى ربك فاسأله التخفيف .

قال : فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى / عليه السـلام / حتى قال : يـا محمد انهن خمس صلوات كـل يوم وليلة ، لكل صلاة عشر ، ذلك خمسون صلاة .

قال : فنزلت حتى انتهيت إلى مـوسى ـ عليه السـلام ـ فأخبـرته فقـال : إرجع إلى ربـك فأسـألـه التخفيف « فقـال رسـول الله ـ ﷺ ـ

---

(١) وفي بعض الـروايات : يصلي فيـه كل يـوم سبعون ألف ملك إذا خـرجوا لم يعودوا إليه أخر ما عليهم بمعنى : ذلك آخر ما عليهم من دخوله .

« فقلت » قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه .

(رواه مسلم في «باب بدء الوحي »)

ثم عاد النبي الرسول محمد ـ ﷺ ـ بعد أن رأى من آيات ربه الكبرى ، ومن تكريم الله تبارك وتعالى له بما لم يكرم به أحد من قبل ولا من بعد ، وبما لم تره عين ، ولم تسمعه أذن ، ولم يخطر على قلب بشر . .

عاد من رحلته المباركة إلى حيث بدأها من بيت المقدس وركب البراق إلى بيت الله الحرام . صلوات الله وسلامه وبركاته عليه . . وعاد من رحلته منشرح الصدر قرير العين مطمئن الخاطر ناعم البال ، مما رآه من آيات ربه الكبرى .

مشاهد عجيبة رآها النبي في ليلة المعراج

في ليلة المعراج ورؤية النبي لآيات ربه الكبرى ، رأى عليه الصلاة والسلام مشاهد كثيرة فيها العجب العجاب ، وقد ورد ذكرها في أحاديث مروية عنه ﷺ . .

منها ما له علاقة بأحوال الآخرة ، ومنها ما يوضح عاقبة الذين يعصون الله تبارك وتعالى ولا يفعلون ما أمرهم به ، ولا يجتنبون ما نهاهم عنه . . وهذه بعض من هذه المشاهد العجيبة :

واحد منها أن النبي ﷺ عندما كان في السماء الدنيا رحب به الملائكة ضاحكين مستبشرين إلا ملكاً رحب به مثلهم ولكنه لم

يضحك فسأل النبي عنه جبريل فأجابه : هذا مالك خازن النار لم يضحك قط ولم يبتسم ولم يزل عابساً مغضباً من شدة غضبه على أهل النار لغضب ربهم عليهم .

فنال النبي عليه الصلاة والسلام :

« يا جبريل ألا تأمره أن يريني النار . . قال : بلى . قال جبريل : يا مالك إن محمداً رسول الله يريد أن ينظر إلى النار ، قال : فكشف لي عن غطائها ففارت النار وارتفعت وهي سوداء مظلمة لها زفير وشهيق حتى ظننت أنها ستأخذني، فقلت يا جبريل : مره فليردها فقال جبريل : يا مالك أرددها إلى مكانها فقال لها مالك فرجعت إلى مكانها .

وثانية . . أنه عليه الصلاة والسلام رأى رجلاً جالساً تعرض عليه أرواح بني آدم فيقول لبعضها إذا عرضت عليه : روح طيبة خرجت من جسد طيب ، ويقول لبعضها إذا عرضت عليه : أف ويعبس في وجهه ويقول : روح خبيثة خرجت من جسد خبيث .

قال ﷺ : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أبوك آدم تعرض عليه أرواح ذريته ، فإذا مرت به روح المؤمن منهم سربها ، وإذا مرت به روح الكافر منهم أنف منها وكرهها .

وثالثة : إنه عليه الصلاة والسلام رأى مشافر كمشافر الأبل في أيديهم من النار كالافهر[١] يقذفونها في أفواههم فتخرج من أدبارهم ، فقال من هؤلاء يا جبريل ؟ قال جبريل : هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظلماً .

---

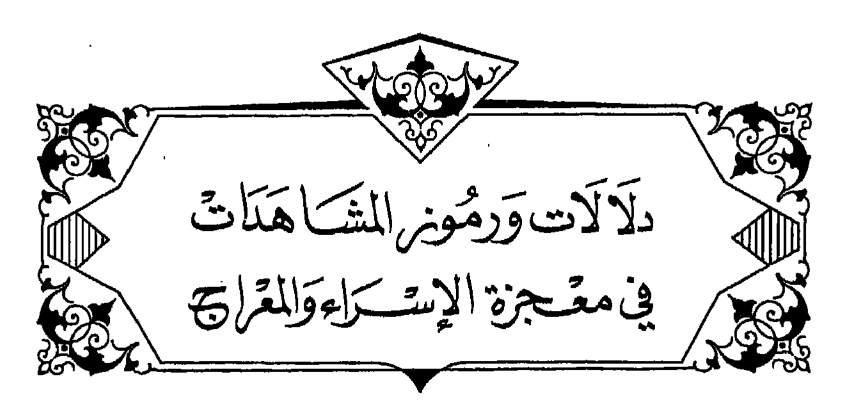
(١) الافهار : جمع الفهرة وهي حجر رقيق يستخدمه الأطباء في سحق الأدوية .

ورابعة : أنه ﷺ رأى رجالاً لهم بطون لم ير مثلها يعرضون على النار لا يستطيعون أن يتحولوا من مكانهم ، فقال : **من هؤلاء يا جبريل ؟** قال جبريل : هؤلاء أكلة الربا .

وخامسة : أنه صلوات الله وسلامه عليه شاهد رجالاً بين أيديهم لحم سمين طيب ، وإلى جنبه لحم غث منتن ، يأكلون من الغث ويتركون السمين الطيب فقال لجبريل : **من هؤلاء ؟** قال جبريل : هؤلاء الذين يتركون ما أحل الله لهم من النساء ويذهبون إلى ما حرم الله عليهم منهن .

وسادسه : رأى نساء معلقات بأثدائهن فقال : **من هؤلاء يا جبريل ؟** قال جبريل : هؤلاء اللاتي أدخلن على الرجال من ليس من أولادهم . .

وهذه المشاهد المذكورة بعض من عجائب كثيرة جاءت بها كتب الحديث والسيرة النبوية الشريفة .



وإن حادثة الإسراء والمعراج تحفل بالكثير من الرموز الثرية ذات الـدلالات العميقـة التي تـربط ربـطاً عميقـاً بين عـالم الغيب وعـالم المشاهدة ، ولقد أشار الدكتور عبـد الحليم محمود ـ رحمـه الله ـ إلى هذه الرموز فقال : (فإن من هدى الله سبحـانه وتعـالى وتوجيهـاته في الإسراء والمعراج هذه الرمزيات الاخلاقية التي تربط ربطاً محكماً بين الدين والأخلاق) وفي موضع آخر من نفس الكتاب قال : (ولقد ذكرت الرحلة المباركة بعض الرموز التي تمثل آثـام الجوارح ذكـرت البعض منها ولم تذكر الكل وذلك أنها ما كانت بصدد الإحصاء والاستقصاء) .

وهذه الرموز التي تمتلىء بها رحلة الإسـراء والمعراج[1] تمحـو ضباب الوهم وغمام الغبار لتبدو حقيقة الأعمال الإنسانية جلية لا لبس فيها ولا غموض ، ولقد أشار الأستـاذ الرافعي إلى هـذا بقولـه : « أما وشي القصة (أي قصة الإسـراء والمعراج) فبـاب عجيب من الرمـوز الفلسفية الإنسانية التي ترمز بها إلى تجسيد الأعمال في هذه الحياة ، تلمس منفعة وشهوة وتقع مضرة وحماقة ثم تفنى من هذه وتلك الصور

(١) منار الإسلام .

الزمنية التي توهمها أصحابها وتخلد الصور الأبدية التي جاءت بها حقائقها بيد أن الرافعي أكتفى بايراد العديد من هذه الأمور في مقالته دون تحليلها ، وبيان تفصيلاتها وأيضاح دلالاتها وكذلك فعل المرحوم الدكتور عبد الحليم محمود وسوف أستعين الله في إتمام ما بدأه الرجلان مع الإعتراف بسابق فضلهما في ارتياد هذا الموضوع الثري .

ونظراً لكثرة هذه الرموز الكاثرة فسوف نقتصر على تحليل جزء منها وبيان ما في هذا الجزء من دلالات وإشارات وعلائق رمزية وبيان مكنونها وكشف اسرارها .

دلالة الزرع والحصاد :

فقد روى ابن أبي حاتم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى على قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم كلما حصدوا عاد كما كان فقال النبي ﷺ يا جبريل ما هذا ؟ قال : هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف ومن اليسير علينا أن ندرك أن العلاقة الرمزية هنا بين الزرع والحصاد وبين الجهاد هي علاقة النماء والزيادة والنفع ، فالجهاد عمل أجره مضاعف متنام متزايد ، والزرع كذلك في نماء وازدياد ويعود على صاحبه بالنفع ، فأنت تدفن الحبة في الأرض وتكابد مشقة رعايتها ولكنك بعد ذلك تجد هذه الحبة قد تضاعفت إلى سبعمائة ضعف وعادت عليك بالنفع الوفير وتتجلى هذه العلاقة الوثيقة ـ علاقة النماء ـ في حديث آخر فعن فضالة بن عبيد أن رسول الله ﷺ قال : « **كل ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله فإنه ينمي له عمله إلى يوم القيامة ويؤمن فتنة القبر** » فعمل

المجاهد هو العمل الذي يخضع لعملية النماء والتضاعف التي يخضع لها الزرع .

ومما يزيد هذا الرمز قوة أنه يعتمد على المشاهدة الحسية والوضوح والبساطة وأن دلالته عامة مشتركة بين الناس .

دلالة الصخر :

وهو من الرموز الثرية أيضاً التي وردت في حادثة الإسراء والمعراج ففي نفس الحديث السابق يقول أبو هريرة ثم أتى على قوم ترضخ رؤوسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شيء فقال : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة والعلاقة الرمزية هنا بين الصخر والتثاقل هي علاقة الكثافة المادية ، فالمادة بكثافتها وقسوتها وغلظتها تضغط بثقلها على رؤوس هؤلاء المتكاسلين عن الصلاة فتقعدهم عنها ، والصخر هو الرمز الملائم لهذه المعاني بصلابته وكثافته كما أنه مكون من نفس عناصر الطين الذي يرمز به إلى الإخلاد إلى الأرض والشهوات وظلام المادة ، وقد وردت علاقة الكثافة والثقل في حديث آخر فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « **ليس صلاة أثقل على المنافقين من صلاة الفجر والعشاء ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا وذلك لغلبة المادة الكثيفة التي من طبيعتها الثقل على الروحانية الشفيفة التي من طبيعتها الخفة** » .

دلالة الإبل والنعم :

فقد روى ابن أبي حاتم أيضاً عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ أتى على قوم على أقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح

الإبل والنعم ويأكلون الضريع والزقوم ورضف جهنم ، وحجارتها فقال : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم والعلاقة الرمزية هنا بين الإبل والنعم هي الحيوانية .

فآكلوا الصدقات يعلون من غرائزهم الدنيا وعلى رأسها غريزة التملك وحب الطعام والأثرة وهي أخص غرائز الحيوان وكانوا يتوهمون النفع والفائدة والمتعة في حبس الصدقة وأكلها ولا يعلمون أنهم إنما يأكلون آلام المحرومين والمحتاجين ؟ فإذا ما توهموه متاعاً ومنفعة ينقلب يوم القيامة في صورته الأبدية ضريعاً وزقوماً وحجارة .

دلالة اللحم :

وهو من الرموز الموحية المؤثرة فقد أتى ﷺ بعد ذلك على قوم بين أيديهم لحم صحيح في قدر ولحم آخر قذر خبيث فجعلوا يأكلون النيء الخبيث ويدعون اللحم النضيج الطيب فقال : من هؤلاء يا جبريل؟ قال هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيبة فيأتي إمرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح والمرأة تقوم من عند زوجها حلالاً طيباً وتأتي رجلاً خبيثاً فتبيت معه حتى تصبح والعلاقة الرمزية هنا بين اللحم وبين الجماع هي علاقة الإشباع فالزناة والزانيات يدعون مادة الإشباع الطيبة الصالحة النظيفة ويلتمسون الخبيثة الفاسدة القذرة ولذلك رمز إليهم بقوم يدعون اللحم الطيب الذي يحقق الإشباع النافع إلى اللحم الخبيث الذي لا يتحقق منه إلا المضرة والمفسدة ومما أعطى هذا الرمز دلالة خاصة وقوية أن هناك علاقة وثيقة بين شهوتي البطن والفرج أكدها حديث النبي ﷺ قال فيه «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له

وجاء » فالجوع يسكن الشهوة والشبع يحركها .

دلالة النحاس :

هو من الرموز التي تشف عن عمق التصوير الرمزي في حادثة الإسراء والمعراج فقد روى أبو داود وأحمد عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « لما عرج بي مررت بقوم لهم أظافر من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم » فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم والعلاقة الرمزية هنا بين النحاس والغيبة هي التجريح والتعذيب فالذين يغتابون أخوانهم إنما يجرحون أعراضهم ويمزقونها ويشوهون حقائقهم أمام الناس بكلمات جارحة قاسية وهم بذلك يظنون أنهم يتسلون وأنهم يبرزون تفوقهم بذكر عيوب غيرهم، ويوم القيامة تتحول كلماتهم في صورها الأبدية إلى أظافر نحاسية يجرحون بها وجوههم وصدورهم ويمزقونها كما كانوا يجرحون ويمزقون اعراض الناس والنحاس وارد كرمز عذاب في القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران ﴾ [الرحمن : ٣٥] .

دلالة البيوت :

روى البيهقي عن ابي سعيد الخدري وابن أبي حاتم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : » فإذا أنا بأقوام بطونهم أمثال البيوت كلما نهض أحدهم خر فيقول ، اللهم لا تقم الساعة وهم على سابلة آل فرعون » قال : فتجيء السابلة فتطؤهم قال : فسمعتهم يضجون إلى الله قال : قلت يا جبريل من هؤلاء ؟ قال هؤلاء من أمتك ﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ﴾ [البقرة : ٢٧٥] والعلاقة الرمزية هنا هي بين البطون التي صارت بيوتاً

وبين الفوائد الربوية وهي الجشع فالمرابون يسعون إلى تضخيم رؤوس أموالهم على حساب آلام الفقراء ويثقلون كواهل المحتاجين بأثقال الفوائد الباهظة لتمتلىء جيوبهم وتشبع معداتهم غير عابئين بآلام الفقراء وحاجة ذوي الفاقة ولذا يأتون يوم القيامة وقد تحولت بطونهم بيوتاً بإتساع جشعهم تثقلهم حتى أنهم لا يقوون على الوقوف ويسقطون وتدوسهم الأقدام ـ أقدام الطغاة من آل فرعون وبذلك يجسم الرمز مدى جشعهم وحجم الأثقال التي كانوا يثقلون بها كواهل المحتاجين ويجعلهم غير قادرين على القيام بأعباء الحياة ، جسم الرمز كل هذا من خلال صورة البطون الضخمة كالبيوت .

دلالة الخمر واللبن :

روى الإمام أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **فأتاني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن** » فقال جبريل : أصبت الفطرة والعلاقة الرمزية هنا شديدة الوضوح فالخمر هي رمز الغواية والرجس والشر يقول الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون** ﴾ [المائدة : ٩٠] وهكذا تأتي الخمر على قمة قائمة الرجس في هذه الآية .

واللبن رمز النقاء الخالص والطبع السليم وقد أدرك النبي ﷺ هذا ببصيرته الشفافة فأختار اللبن ولا يخفي على كل ذي لب ما بين الفطرة ورمز اللبن من علاقات الخير المحض والصفاء .

دلالة المرأة المتبرجة :

وروى البيهقي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول

الله ﷺ قال : « فبينما أنا أسير إذا]نا بإمرأة حاسرة عن ذراعيها عليها من كل زينة خلقها الله تقول : يا محمد أنظرني أسألك فلم أجبها ولم أقم عليها قال: (أي جبريل) تلك الدنيا أما إنك لو أجبتها أو أقمت عليها لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة وهذا الرمز من الرموز الثرية التي تحتشد فيها الدلالات العميقة الموحية فأي رمز للدنيا أدق وأعمق من المرأة المتبرجة اللعوب بطبيعتها الشهوانية المتقلبة المخادعة . إن الوشيجة الرمزية بين المرأة اللعوب والدنيا ذات شعب كثيرة وعلائق متعددة فكلاهما شهوة بل أن المرأة تأتي على قمة الشهوات ويؤكد هذا القرآن الكريم حيث قال الله تعالى : ﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطر المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المئاب ﴾ . وكلاهما متقلب بأهله مخادع ولذا تجسم المرأة المتبرجة اللعوب حقيقة الدنيا كأوضح ما تكون .



بعد هذه الرحلة المباركة . . التي رأى ﷺ من آيات ربه الكبرى ، مما لا يخطر على قلب بشر . . وبعد أن عاد إلى مكة عقد إرادته ﷺ على أن يبلغ قومه بما أنعم ربه عليه من فضل ونعم لم تعط لأحد من قبل ولا من بعد . . ولا سيما وأن فيما رأى ما يجب أن يبلغ به وهو فريضة الصلاة . . فقد أصبحت واجبة . . غير أن ابنة عمه أم هانىء كان لها رأي آخر . . وقالت :

أنشدك الله يا ابن عمي لا تحدث قريشاً فيسخر منك أعداؤك ، ويكذبك من صدقك من قومك ، فإنها تخشى أن تحدث فتنة بين القوم . . ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام أبى إلا أن يبلغ بأن ما رآه حق . . والصلاة صارت مفروضة . . والله الحق يقول :

﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ﴾ .

فالله عاصمه وناصره وهو على الحق لا ينطق عن الهوى ، فلا يخشى أحداً إلا الله ، فليبلغ قريشاً بالأمر الجلل . . ويحدثهم بما أفاء الله به عليه . .

وخرج رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى الناس يحدثهم ، وكان أول لقاء له مع أبي جهل الذي ابتدره قائلاً مستهزئاً كعادته : هل كان شيء ؟ فقال الرسول الأمين : نعم أسرى بي الليلة قال إلى أين ؟ قال الرسول ﷺ : إلى بيت المقدس . . قال له : ثم أصبحت بين ظهرانينا . قال رسول الله ﷺ : نعم . . فقال أبو جهل : أرأيت أن دعوت قومك لتحدثهم بما حدثتني به؟ قال رسول الله ﷺ: نعم . .

وانطلق أبو جهل في دروب مكة وشعابها . فأقبل الناس من كل حدب وصوب وأحاطوا بالرسول وطلب منه أبو جهل أن يخبر الناس بما رأى ، وقد ظن لعنة الله عليه . . أن الرسول الأمين سيغير من قالته . أو يبدل من خبره . ولكن الرسول المعصوم ﷺ قال في ثقة وصدق : « إنني أسرى بي إلى بيت المقدس . . فنشر لي رهط من الأنبياء . . منهم : إبراهيم وموسى وعيسى وصليت بهم وكلمتهم » .

فقال أبو جهل ـ ممعنا في الإستهزاء والعناد : إن كنت قد رأيتهم فصفهم لنا . وفي هذا يروي الإمام مسلم في كتاب الايمان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :

« لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي . فسألتني عن أشياء لم أثبتها فكربت كربة ما كربت مثلها قط فرفعه الله لي أنظر إليه يعني بيت المقدس » ما يسألونني عن شيء إلا أنبأتهم به .

ـ يعني نفسه ﷺ ـ فحانت الصلاة فأممتهم. فلما فرغت من الصلاة قال قائل : يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلم عليه . فالتفت إليه فبدأني بالسلام » .

وذهب بعض المشركين إلى أبي بكر وأخبروه بما سمعوا من النبي ﷺ فقال لهم : » لئن كان قال ذلك لقد صدق . . » فقالوا : أتصدقه على ذلك ؟

قال : إني لأصدقه على أبعد من ذلك . . أصدقه في خبر السماء في غدوة أو روحة . . . ولما أمتحنوه في وصف بيت المقدس وفيهم رجال رؤوه. أخبرهم ووصفه لهم باباً باباً وموضعاً موضعاً فسألوه عن غير « قافلة » لهم قادمة من الشام فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها وقال : تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق « أي في لونه بياض إلى سواد » فخرجوا ينشدون ذلك اليوم نحو « الثنية » فقال قائل منهم : هذه والله الشمس قد أشرقت فقال آخر : وهذه والله العير قد أقبلت يقدمها جمل أورق كما قال محمد . .

صلوات الله وسلامه عليه . . الصادق الأمين . . رسول الحق المبين . . محمد أفضل الخلق . . وإمام المرسلين . . صلاة وسلاماً دائمين إلى يوم الدين . .



لقد كثرت الروايات ، وتعددت الأحاديث عن المعجزة الخارقة التي أطاحت بصواب المشركين ، والتي إختص الله تبارك وتعالى بها نبيه محمداً ﷺ فأكرمه وطيّب خاطره ليسرّي عنه حزناً أصابه . . .

غير أن كل هذه الروايات والأحاديث إنما هي روافد طيبة تصب في نهر واحد طيب النفحات ، مبارك النسمات . . . . هو أن الإسراء والمعراج أمر ثابت أيد الله به رسوله وأراه آياته الكبرى حيث رأى ﷺ ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . . . . .

ويبقى دائماً وأبداً أن الإسراء والمعراج حق . . . والرسول محمد حق ، والله هو الحق المبين . . . . .

إتجاه للإمام الشيخ عبد الحليم محمود

ويبرز اتجاه يعبّر عنه الإمام الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الجامع الأزهر الأسبق فيقول رحمه الله في كتابه «الإسراء والمعراج».

« ونعود من جديد إلى أسانيد حادث الإسراء والمعراج في السنّة الشريفة فنقول : إن حادث الإسراء والمعراج ورد في روايات عدة ، منها الصحيح ، ومنها الحسن ، أخرجها أئمة الحديث رضوان الله

عليهم ، يذكر بعضها ما لم يذكره البعض الآخر ، تتفق في جوهرها ولا تتعارض في جزئياتها ، يرويها بعضهم مختصرة ، ويرويها بعضهم متوسطة ، ويرويها بعضهم مطولة وكل صورة منها يتعدد سندها ، أي يختلف الرواة الذين رووها ، ومع ذلك تكون الصورة واحدة في جوهرها . والجوهر إذن متواتر ، وإذا أخذنا برأي الإمام ابن حزم في أن المتواتر ما روى بروايتين فإن التفاصيل ـ في أغلبها ـ تكون أيضاً متواترة . كل هذا مع ثبوت الأمر في جوهره بالكتاب العزيز . . . . . » .

وقد جاء في « كتاب رسالة الإمام » ما يأتي من وجهة نظر مجتهدة :

١ ـ الأحاديث الخاصة بالإسراء والمعراج التي وردت في صحيحي الإمامين البخاري ومسلم لها حجية مسلم بها عندنا . ومع إحترامنا للسند في هذه الأحاديث ، فإن المتن ، أي المحتوى اللفظي لهذه الأحاديث ينبغي النظر إليه بشيء من التدقيق والتدبر في الفهم أخذاً في الإعتبار للزمان والبيئة والمستوى المعرفي والعلمي الذي كان يسود المجتمع الإسلامي في ذلك الوقت الذي روى فيه النبي هذه الروايات عن الإسراء والمعراج ، وهو النبي الذي كان يخاطب الناس على قدر عقولهم وعلى قدر إمكاناتهم في الفهم ، ولا يحمل المسلمين من العلوم والمعارف فوق ما يطيقون . ومن هنا فإن مفاهيم ألفاظ هذه الأحاديث يلزم تأويلها عند الحاجة لذلك التأمل بحيث تفهم حسب المستوى المعرفي والعلمي للعصر الذي يعيشه الناظر والمتأمل في هذه الأحاديث حتى لا يتقيد بإيحاءاتها المادية المبسطة التي رويت في إطارها ، وإنما ليخرج من دلالات هذه

الألفاظ بالمعاني اللائقة بالمستوى المعرفي والعلمي الذي تمثله واقعة الإسراء والمعراج ذاتها في إطار تطور المعرفة المستمر في المجالين الفيزيقي والروحي . وفي هذا الإطار من النظر ، فإني لا أشك فيما ورد في صحيحي البخاري ومسلم مروياً عن النبي ﷺ أنه حدث به ، على الأقل في معناه الإجمالي دون تفصيله اللفظي الحرفي ومن ثَمّ فهناك بعض التفصيلات اللفظية الدقيقة التي وردت في هذه الأحاديث يمكن تركها وأخرى إلى أن أتأول معانيها بما تستريح إليه النفس وبما يتمشى مع روح القرآن ، وهي على كل ليست من الأحاديث المتواترة في تفصيلاتها وإسنادها وإنما من الأحاديث التي يجوز شرعاً حيالها التأويل :

١ ـ الأنهار عند سدرة المنتهي قد تغني الإشارة إلى الحضارات التي تنشأ عادة عند الأنهار وخاصة الحضارات الأولى في الأرض التي ظهرت عند هذه الأنهار التي وردت في الأحاديث حضارة النيل العظيمة (الفرعونية) وحضارة الفرات (البابلية) .

٢ ـ السدرة التي وُصفت بأنها شجرة النبق أميل إلى تأويلها بأنها الشجرة المباركة الزيتونة التي وردت في سورة النور والتي قلنا إن المقصود منها هو الكهرباء والمغنطيسية والله أعلم .

٣ ـ تردد النبي بين ربه وبين موسى أقف حياله دون تعليق أو تأويل . .

وقد أنكره البعض أن يكون قد حصل ـ على أساس أن الصلاة فرضت خمساً من المبدأ وخمسين في الأجر ـ لأنه يجعل من موسى معلماً لمحمد . وذهب البعض إلى القول بأنه

حصل فعلاً ، على أساس أن موسى وحديثه إلى رسول الله ﷺ بشأن التخفيف من الخمسين صلاة حتى صارت خمساً وحتى قال رسول الله ﷺ أنه إستحى من ربه أن يسأله مزيداً من التخفيف . . . . . أما ذلك كله فيرجع إلى أن موسى شاهد جانباً من الحضرة النورية الربانية في جمالها عندما نودي بالوادي المقدس . ولذلك فقد كان يعلم مدى جمال الحضرة الربانية النورية ولذلك سأل ربه (أرني أنظر إليك) ولكنه كان لا يدرك مقدار جلال هذه الحضرة فخر صعقاً عندما تجلى ربه للجبل ، ولعلم موسى بعلو المقام المحمدي ، واستعداده بالإصطفاء الخاص للثبات عند رؤية الحضرية النورية الجمالية الجلالية ، فقد كان يريد لمحمد ﷺ أن يثبته بالوجود في هذه الحضرة لأطول فترة ممكنة ، وحتى يرى هو نفسه جمال الحضرة النورية الروحية المحمدية ذاتها وهي التي وثق حيالها كما أخبرنا القرآن في الآية : ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنّه** ﴾ . [سورة آل عمران : آية ٨١] .

٤ ـ شق صدر النبي قبيل الإسراء والمعراج تفسيره روحي ليس مادياً ويحمل معنى الأعداد الروحي للرسول ﷺ لتجربة الإسراء والمعراج .

٥ ـ البراق فيه إشارة إلى السرعة ، وبالتالي إلى الزمن الذي إستغرقه الإسراء والمعراج ، كما أن فيه إشارة تمت بطريقة مبسطة إلى الحقيقة الروحية التي تحققت فيها الحادثتان وصلة

الحقيقة الزمنية بهما وخاصة في المعراج .

٦ ـ إمامة الرسول للأنبياء في الصلاة حدثت فعلاً لأنه النبي الذي وثق الأنبياء جميعاً حياله كما أفادنا القرآن في آية : ﴿ **لتؤمنن به ولتنصرنه . .** ﴾ . [آل عمران : آية ٨١] .

٧ ـ رؤية الرسول ﷺ للأنبياء والرسل في إفتتاح السماوات بصحبة جبريل ، حدثت فعلاً باعتبار السماوات مستويات للسمو الروحي لهؤلاء الأنبياء ، مختلفة القدر ومن المعلوم أن حياة الأنبياء في عام البرزخ هي حياة روحية ومن هنا فإن الأمر كان يقتضي بالنسبة للنبي ﷺ مجانسة بينه وبين تلك الحياة الروحية للأنبياء ولذلك كان محمد ﷺ في المعراج روحي الحقيقة ، نوري السراج وبذلك أمكن تحقق الإتصال الذي تم بينه وبين الأنبياء ويكون الجسد الشريف الذي ظهر في الأرض في فترة الرسالة هو أيضاً تجسيد لطاقة روحية نورية تمثل سراجية النبي المنيرة التي تمثل قمة مقام العبدية لله . وبذلك يكون هؤلاء الأنبياء والرسل السابقون قد رأوا روح محمد وهي تعلو فوق مقام كل واحد منهم في رتبتها من السماء أو السمو . ويكون قد تحقق بالإمامة في الصلاة التي واكبت المعراج ، الحقيقة التي أشار إليها القرآن في سورة آل عمران : ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين** ﴾ . [آل عمران : آية ٨١] .

٨ ـ المشاهد التي رآها النبي ﷺ أعتقد أنها صحيحة ولها معان اجتماعية وأخلاقية عميقة الدلالة أنها تفيد بلوغ النبي مقاماً إستوعب فيه الماضي والحاضر والمستقبل .

٩ ـ وصف النبي ﷺ لبيت المقدس عندما سأله الكفار عن ذلك ، يفيد تحقق ظاهرة الجلاء البصري له وقد ذكر النبي ﷺ أن الله « جلا » له البيت حتى إستطاع أن يصفه على وجه الدقة .

ولفظ « عبده » الذي إستعمله القرآن في الإسراء ، ليس المقصود منه أن يقودنا إلى البحث والنظر ، هل كان الإسراء بالروح فقط أم كان بالروح والجسد ، مع علمنا بأنه يعني القول الثاني ـ وكذلك الأمر بالنسبة للمعراج حيث نعلم الآن من قوانين الفيزياء ، وحدة المادة والطاقة وإمكانية تحوّل كل منهما إلى الأخرى كما نعلم من القرآن إمكانية تجسد الروح ثم تحولها مرة ثانية إلى حالتها الروحية ، كما تجسد الروح الأمين لمريم ابنة عمران ولرسول الله ﷺ، وكما تجسدت الملائكة لإبراهيم ولوط عليهما السلام . نقول ليس ذلك هو الهدف من إستعمال القرآن للفظ « عبده » وإنما الهدف هو تقرير الحقيقة الخالدة الأبدية حقيقة العبدية أو العبودية لسائر المخلوقين الخاضعين جميعاً للإلّه الواحد المنزه عن النظير والشبيه والكفؤ والذي ليس كمثله شيء . فمحمد ﷺ حتى في هذه المراتب العليا من السموّ الروحي والقرب من الحضرة الإلّهية النورية كان عبداً والذي أسرى به سبحانه منزه تمام التنزيه عن الإدراك في ذاته ، حيث روح القرآن وروح الإسلام يؤكدان على حقيقة التوحيد الخالص الذي لا تشوبه شائبة من شرك خفي . ويقول الإمام أبو العزائم في رسالته عن « الإسراء والمعراج » إن الله

تعالى قال « بعبـده » ولم يقل بـرسولـه حتى يكون لكـل عبد قسط من الإسراء الروحاني سياحة ملكوتية ، ولو قال برسوله لحظر ذلك على عبد غير الرسول .

أما لفظ « عند » الذي إستعمله القرآن مقترناً بالسدرة ، فيعني في اللغـة « حضور الشيء ودنـوّه » ويكون المعنى الـذي قصد إلى بيـانـه القرآن حسب فهمنا ـ أن رؤية الرسول لجبريـل في المعراج كـانت في مقام من الطاقة الروحية إقترب أو إرتفع على السدرة دون أن يتأثر بشدة أنوار الصاعقة ولما كـان لفظ « عند » يعني أيضـاً في اللغة ، المكـان والزمان ، فإن المقام في هـذه الرؤيـة يكون جـامعاً لـلاثنين معاً ، أي يندمج في حقيقته أو أبعاد الزمان والمكان معاً ، وهو مستوى من الرؤية يعلو المستـوى المعروف للحس البشـري ، ومنظوره في هـذه الحالـة روحي مشاهده تختلف تماماً عن المشاهد الحسية بأبعادها المعروفة .
وقد ذكرنا من قبل أن نظرية النسبية توصلت إلى أنه لا زمان بلا مكان ولا مكان بلا زمان حيث يندمـج الإثنان فيمـا يطلق عليـه « الزمكـانية » أو الفضـازمن » وعلى ذلك ، وعلى اعتبـار أن السدرة ـ في فهمنـا ـ هي الشجرة المباركة الزيتونة أو الـطاقة الكهـرومغناطيسيـة الشاملة للكـون الفيـزيقي كله ، يكون المقصـود ـ والله أعلم ـ أن الرؤيـة المحمـديـة للروح الأمين تمت في مستوى من النورانية ـ إذ يغشى السدرة ما يغشى من الأنوار ـ روحي أطلع فيه النبي برؤية عينية على منتهى الطاقة الكامنة في البنيـان الكوني دون أن يصعق ورأى ـ وهـو في مستـواه المحـدود بالعبدية ـ أكبر الآيات مشهودة بالبصر المتصـل بالـوعي العالي لـروحه المرسلة في تجاوز للزمان والمكان بمقـاييسهما الفيـزيقية في أبعـاد لا

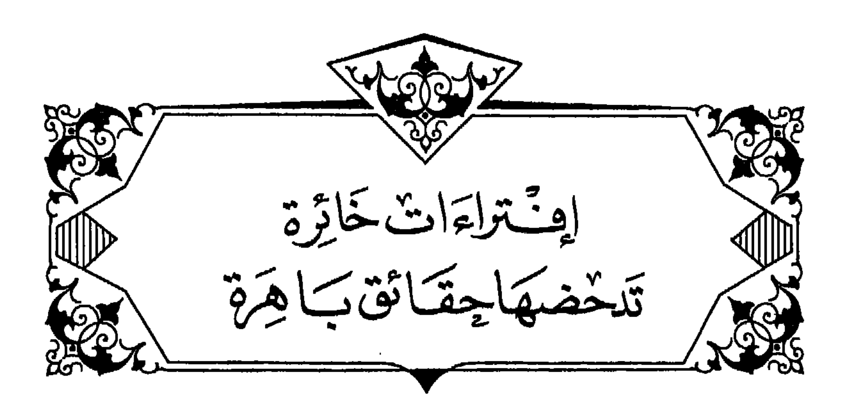
نعلمها وفي رؤية لمظاهر لا ندركها بعقولنا المحدودة ولا يمكن تصورها وفي هذا المستوى الروحي تكون « الجنة » الخاصة بالأرواح العالية تأوي إليها ، أي تحيا في مستواها وتذوق لذتها ونعيمها . والذي أوحى إلى عبده ما أوحى في هذا المقام هو رب العزة تبارك وتعالى . فعند بلوغ النبي ﷺ سدرة المنتهى لم يحتج الأمر إلى وساطة جبريل لإبلاغ الوحي الرباني إلى النبي وإنما كان الخطاب مباشرة عن طريق الوحي ـ وهو أحد أساليب ثلاثة يكلم الله بها البشر ـ فعند بلوغ النبي ﷺ مقاماً أطلع فيه على السدرة أصبح في نفس مستوى الروح الأمين الوسيط بالوحي ومن ثم لم يحتج الأمر كما قلنا إلى وساطة كالتي تمت في المراحل الأولى من المعراج الروحي المحمدي لمستويات أرواح الأنبياء في سماواتهم المتفاوتة التي هي في الحقيقة مستويات لدرجة السمو الروحي لكل منهم بالضبط كمستويات الملائكة المتفاوتة . وعند السدرة يتلاشى الزمان والمكان ويتحدان كما قلنا فيما نعرفه من الفضازمن أو الزمكانية .

ولا يمكننا وصف هذا المشهد النبوي أو تحديده بأكثر من هذا إلا بما يذكره القرآن ذاته من أن النبي ﴿ **رأى من آيات ربه الكبرى** ﴾ . [النجم : ٨١] ونميل إلى تفسير فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي هنا من أن النبي رأى « كبرى » آيات الله الممكن لعبد أن يراها وهو في قمة مستويات القرب ـ غير المكاني أو المادي من الحضرة الإلّهية . في هذا المستوى من القرب كان الكلام . . . . وكانت المناجاة . . . وكان فرض الصلاة . . . في حضرة من النور والسلام . . . . توضحها صيغة « التحيات » التي نرددها في كل صلاة . . . وكان هذا كله « وحياً » من

الله للنبي : ﴿ **فأوحى إلى عبده ما أوحى** . . ﴾ . [النجم : ٧] وعندما سأل أبو ذر الغفاري النبي عن رؤيته لربه وهو في هذا المقام من القرب أجابه النبي حسب ما رواه مسلم (عن قتادة عن عبد الله بن شقيق) « رأيت نوراً » أو نور إني أراه » .

وحريّ بنا في هذا الصدد ذكر رأي الدكتور محمد حسين هيكل في كتابه « حياة محمد » الذي أورده تحت عنوان « الإسراء ووحدة الوجود » يقول : « ففي الإسراء والمعراج في حياة محمد ﷺ الروحية معنى سام غاية السمو . . . معنى أكبر من هذا الذي يصورون ، والذي قد يشوب بعضه من خيال المتكلمة الخصب حظ غير قليل . . .

فهذا الروح القوي قد إجتمعت فيه في ساعة الإسراء والمعراج وحدة هذا الوجود بالغة غاية كمالها ، لم يقف أمام ذهن محمد عليه الصلاة والسلام وروحه في تلك الساعة حجاب من الزمان أو المكان أو غيرهما من الحجب التي تجعل حكمنا نحن في الحياة نسبياً محدوداً بحدود قوانا المحسة والمدبرة والعاقلة ، تداعت في هذه الساعة كل الحدود أمام بصيرة محمد ﷺ واجتمع الكون كله في روحه ، فوعاه منذ أزله إلى أبده وصوّره في تطور وحدته إلى الكمال عن طريق الخير والفضل والجمال والحق في مغالبتها وتغلبها على الشر والنقص والقبح والباطل بفضل من الله ومغفرة وليس يستطيع هذا السمو إلا قوة فوق ما تعرف الطبائع الإنسانية فالعلم ينحو منحى الترقي من المادي إلى اللامادي .



عند كل حادث جلل .. يطير صواب ضعاف القلوب .. وتضطرب تقديرات مزعزعي الإيمان .. وتنحرف المقاصد بذوي الأفكار الملتوية ، أو ينحرف في الدوامة أولئك الذين ينخدعون بأنهم أصحاب فكر متحرر .. ويهوون في مشارب متعددة .. ومسارب متنوعة بعضها يبرز ممسوخاً داخل الإطار الإسلامي وأخرى تفد شوهاء من خارج الفكر الإسلامي ..

غير أنها لا تلبث أن تذوي وتضحي هشيماً تذروه الرياح .. فهي زبد يذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث ويبقى ..

ذلك الشأن عند كل حادث عظيم الوقع بالغ الأثر .. فما بالنا ومعجزة الإسراء والمعراج .. أجل شأناً .. وأبرز أثراً .. وأبقى ذكراً من كل الأحداث والخطوب .. فهما رحلتان قدسيتان ، أكرم بهما الله القادر الفعال لما يريد ، وأيد رسوله خاتم الأنبياء وإمام المرسلين محمد صلوات الله وسلامه عليه ..

وكانت معجزة كبرى واكبتها أحداث وغرائب .. وعجائب رأى الرسول عليه الصلاة والسلام من آيات ربه الكبرى حينما أسرى به روحاً وجسداً من المسجد الحرام ، أول بيت وضع للناس مباركاً وهدى

للعالمين ، إلى المسجد الأقصى الذي بورك . . وبـورك ما حـوله من أرض الرسالات ، ثم عرج به من المسجد الأقصى إلى السموات السبع حتى ما فوقها حيث لم تخط قدم لبشر ، ولم يخفق جناح ملك . . وتم كـل ذلك بقـدرة القادر ، وإرادة الخـالق . . في جـزء من ليلة . . في اليقظة لا في المنام . . كل ذلك حق أخبر به القـرآن الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . . كمـا أخبرت به السنة النبوية . .

ولكن الذين في قلوبهم زيع إبتغوا الفتنة وأوردوا شبهات قصدوا بها أن يصرفوا عن الحق المبين ، طاش سهمهم ، وخاب فألهم .

لقد طاب لهم أن يطلعوا على الناس بشبهات مفتراة نسبوها إلى حـادث الإسـراء والمعـراج ، متـطاولين متفيهقين ، ولكن أنى لهم أن يطولوا مهما تطاولوا ، فإن الله متم نوره ، بالغ أمره . . فـإنما أمـره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون . .

شبهة مفتراة نسبوها إلى عائشة أم المؤمنين ومعاوية . . وهما منها براء . .

لقد إفتروا شبهـة نسبت إلى عائشـة أم المؤمنين ثم إلى معاويـة تنفي القصة بإدعاء أن عائشة ذكرت أن جسد رسول الله ﷺ لم يفـارق فراشه في ليلة الإسراء والمعراج ، كما نسبوا ذلك إلى معاوية .

دحض هذه الشبهة المفتراة

ويدحض هذه الشبهـة ويظهـر إفتراؤهـا بمجرد إمعـان النظر في

التاريخ والسير . . فإنه بذلك سوف يثبت أن عائشة لم تعرف فراش الرسول إلا بعد الهجرة ، وفي مدينة يثرب . . حيث أن الرسول عليه الصلاة والسلام خطبها بمكة ، ولكنه لم يدخل بها إلا في المدينة بعد الهجرة . .

والآراء مجمعة على أن الإسراء والمعراج إنما كانا في مكة قبل الهجرة بما يزيد على العام ومن هنا فإن هذه الفرية خائرة لم يحسن المرجفون حبكها فتهاوت وتلاشت . .

فرية أن رحلتي الإسراء والمعراج وحوادثهما ، كانتا رؤياً منامية . .

ولا تفرغ جعبة المضلين . . فطلعوا على الناس بشبهة مفتراة تقول أن رحلتي الإسراء والمعراج كانت كل منهما رؤيا منامية ولم تكن في اليقظة . .

دحض هذه الفرية

ويتجلى كذب هذه الفرية . . عند النظر فيما حبك حولها صبيحة حدوثها من القيل والقال والتكذيب . . وطلب كفار مكة من الرسول أن يصف لهم بيت المقدس وما شابه ذلك . .

فلو أن الأمر كان مناماً لما قامت هذه الضجة . . فهم يعلمون أن عالم الرؤيا المنامية فسيح واسع الأرجاء لا يخضع لتكذيب أو نقاش أو إستغراب . .

وترد حجة أخرى على هؤلاء المرجفين . . إذ أنه لو كان الأمر

كما زعموا لما بدأ الله تبارك وتعالى الأخبار عن الإسراء بعبارة « سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً . . . » فإن صيغة « سبحان » تقال عند التعجب من شيء ، ولا يتصور تعجب في الرؤيا والأحلام . .

فرية أن الإسراء تم بالروح من غير الجسد

وإنطلق من جعبتهم كذلك ما تقولوه من أن الإسراء كان بالروح من غير الجسد حسبما خيل إليهم ، وذهبت مقاصدهم بإستبعاد أن يستوعب الجسد هذه الرحلة الخارقة . .

كأنهم قد غفلوا عما جاء به القرآن

وهم في ذلك يكونون كمن غفل أو تغافل عن قول الله عز وجل في القرآن الكريم : ﴿ **سبحان الذي أسرى بعبده** ﴾ فإن لفظ « عبد » لا يطلق إلا على الروح والجسد معاً ، كما تقضي بذلك اللغة وقواعد استعمالاتها .

فرية أن الإكسوجين منعدم في الطبقات العليا فلا تبقى للكائن الحي حياة فيها

وإن تعجب فعجب ما ذهبوا إليه في فرية أخرى تقول أن الرحلة في السماء غير مستوعبة ، بحجة أن الأكسوجين الذي تبقى به حياة الكائن الحي منعدم فيما بعد محيط الكرة الأرضية ، ومن هنا حاولوا الإيحاء باستبعاد أن يعيش الرسول حيث لا أوكسوجين في أجواء وسموات لم تهيأ لحياة بشر . .

قدرة الله لا يعجزها شيء

وموطن العجب والإستنكار لما قالوه هو أنه هل يشق عليهم معرفة أن قدرة الله لا يعجزها شيء . . فإنه سبحانه وتعالى فعال لما يريد وقد خلق كل شيء فقدره تقديراً ، وكيف جاز لهم أن يتنكبوا التفكير في هذا الحادث بعد أن أخبر به القرآن وجاءت به السنة . .

وعن مقولة أن الكائن الحي لا تبقى حياته في طبقات الأجواء العالية بدون أكسوجين ، فإنها مقولة مردودة يبددها أن خلق الله من البشر قد نفذوا من أقطار الأرض ومشوا على القمر ولم يعجزهم إنعدام الأكسوجين في هذه الأجواء . .

فإذا كان الإنسان المخلوق العاجز المحدود المجهود والذي أوتي من العلم القليل قد إستطاع أن يتغلب على هذه المشكلة واجتاز الفضاء ، وجاوز الجاذبية وإنعدام الوزن ووصل . . أفلا يكون بمقدور الرب وهو الذي خلق هذا المخلوق ، وهو القادر الفعال لما يريد أن يسري بنبيه إلى حيث يشاء ، سبحانه عظمت قدرته ، وتجلت آلاؤه . . . .

قانون الجاذبية والرحلة السماوية

وتخرج سهامهم الطائشة من جعبتهم الخرقاء فيوردون شبهة يعترضون بها على الرحلة السماوية بقانون الجاذبية ، حيث أن كل كائن فوق الأرض منجذب إليها لا يرتفع إلى أعلى بغير قوة مضادة للجاذبية ثم تأتي بعد ذلك نقطة تنعدم فيها الجاذبية والوزن ، مع إحتمال حدوث انجذاب آخر من كوكب مغاير . .

ويهـدفون من هـذه الاعتراضـات إلى استبعاد أن يجـوز لمحمد اختراق الجاذبية وانعدام الوزن والنفاذ منه . .

سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم

ويرد على ما يتقولونه وتطيش سهامهم . . إذ يتناسون أن الانسان الذي هو من صنع الله وخلقه قد تخطى هذه الصعوبـات وتغلب عليها بتعليم من الله وهدايته ، ووصل إلى كواكب غير الأرض دون عائق . .

فكيف يتأبى فعل ذلك بل وأعظم منه على خالق الإنسان والكون كله ، وهو الذي يقول للشيء كن فيكون وصدق الله تبارك وتعـالى إذ يقول : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد » .

التشكيك في مشاهد رآها الرسول الأمين وفي السرعة التي جاب بها الرسول الافاق وما رآه من آيات ربه الكبرى . .

ومن باب ما تقدم ما يورده المرجفون من شبهات وتشكيـك فيما جاءت به بعض المراجع من مشاهد رآها رسول الله وكان يسأل جبريل عنها ويجيب عليها ومن ذلـك مشهد الـذين يأكلون في بـطونهم ناراً ، والرجل الذي بين يديه طعام خبيث وطعام طيب فيأكـل الخبيث ويترك الطيب وهو الرجل الذي تكون عنده الزوجة الحلال الطيبة فيتركها ليزنى بمن لا تحل له ، وكذلك مشهد الثور الذي خرج من ثقب في جحر ثم أراد العودة إلى حيث كان فلم يستطيع ، وفسره جبريل بأنه الرجل الذي

يتكلم الكلمة لا يلقى لها بالأثم يندم عليها وهيهات أن يتمكن من الرجوع فيها ، ومن المشاهد التي رآها ﷺ في الرحلة المقدسة مشهد الذين ترجم رؤسهم بالحجارة وهم الذين ينامون عن الصلاة ومشهد الذين يزرعون فينمو الزرع سريعاً وبعد حصاد يعود كما كان وهم الذين يتصدقون بأموالهم لا يرجون غير وجه الله فهم يستنكرون هذه الأمور ويتساءلون هل هي حقيقة أم خيال . . ويتناسون قدرة الله الذي خلقهم وهي فوق الشك فهو سبحانه قادر على كل شيء . .

وكذلك فأن الرافضين يقولون باستحالة السرعة التي جاب بها الرسول الآفاق والسموات ، والأفعال التي صدرت عنه عليه الصلاة والسلام من المتكلم مع الأنبياء والمرسلين وصلاته بهم ببيت المقدس وغير ذلك مما رأى من آيات ربه الكبرى وذلك في جزء من الليل . . .

ما حدث داخل في دائرة الامكان بالنسبة لقدرة الله الخالق القادر

ولعل الرد المفحم لهؤلاء المرجفين هو أن كل ما هو مذكور في هذه القصة داخل في إطار دائرة الإمكان بالنسبة لقدرة الله .

ومدار هذه القصة الخارقة هو أمور غيبية ، ومعجزات خارقة للعادة يجب الايمان بها . . فأن الايمان بالغيب هو أساس الايمان . .

وكل ما أخبر به القرآن الكريم ، والصادق الأمين يلزم الأخذ والإيمان به . والله يقول : ﴿ **ذلك الكتاب لا ريب فيه هدىً للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون . أولئك**

على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾ .

ولا ينبغي أن يغيب عن الأذهان أن الأسراء والمعراج معجزة خص الله بها نبيه ، والمعجزة من شأنها أن تكون خارقة للعادة ناطقة بقدرة الخالق الفعال لما يريد .

ونحن المسلمين علينا أن نزمن بعذا الحادث الصادق ولا نتردد في قبوله ونستيقن أن الرسول ﷺ أسرى به جسداً وروحاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، ثم عرج به من المسجد الأقصى إلى السموات العلا بقدرة الله في جزء من الليل في اليقظة لا في المنام . . .

ولا مبالاة بأولئك الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله . . .

ولا منجاة لنا ولا فلاح إلا بأن نسلك نهج من قال الله فيهم :

﴿أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾ وقوله عز من قائل **﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم أقتده ﴾ .**



القول الصحيح وهو قول أغلبية العلماء والسلف وما جاءت به كتب السيرة ، ومن قبل ومن بعد تدل على الآية ﴿ سبحانه الذي أسرى بعبده ﴾ وليس في الإسراء على هذه الكيفية استحالة كما سيأتي في الرد على الرأي المخالف . . .

وممن قال بذلك ابن عباس ، وجابر ، وأنس ، وأبو هريرة ، وأبن مسعود ، وهو قول الطبراني وابن حنبل ، والكثيرين . . [رأي طائفة من العلماء] .

وذهب بعض العلماء إلى أن الإسراء كان بالروح فقط وأنه رؤياً منام وأن كانوا يقولون أن رؤيا الأنبياء حق ووحي ، وقد ذهب إلى هذا القول معاوية وابن أسحق .

وحجة هؤلاء قوله تعالى ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ﴾ .

رأي طائفة أخرى

وذهب بعض آخر إلى أن الإسراء كان بالجسد يقظة إلى بيت المقدس إلى السماء بالروح فقط . ودليلهم في هذا قول الله عز وجل

﴿ **سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى** ﴾ فهم يرون أن المسجد الأقصى نهاية الإسراء الذي كان سبب التعجب .

الرد على القائلين بأن الإسراء بالروح فقط ورؤيا منام :

في الرد على القائلين بأن الإسراء كان بالروح فقط يأتي الحديث الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وهو مذكور في الإمام أحمد بمسنده الصحيح فقد قال في قوله تعالى : ﴿ **وما جعلنا الرؤية التي أريناك إلا فتنة للناس** ﴾ إنها رؤية رآها النبي عليه الصلاة والسلام ليلة أسرى به كما روى الحديث النجار . وكذلك فإنه لو كان الإسراء مناماً لقال عزَّ وجلّ ﴿ **بروح عبده** ﴾ ولم يقل (بعبده) أي به كله جسداً وروحاً .

ثم أن الإسراء لو كان مناماً لما كانت فيه معجزة ، ولما أستبعده الكفار ولا كذبوه ، ولما أرتد ضعفاء المسلمين وأفتتنوا به حين سماعه ، ولما طلبوا من الرسول ﷺ أن يصفه لهم . . . فتكذيبهم له دليل على فهمهم أنه كان بالزوح والجسد وفي يقظة تامة .

وقال القاضي عياض أن الرؤيا في قوله تعالى ﴿ **وما جعلنا الرؤيا** ﴾ أن تأويلهم لها بأنها رؤيا مردود بقوله تعالى ﴿ **سبحان الذي أسرى بعبده** ﴾ لأنه يقال في النوم (أسرى) . . . وقوله تعالى ﴿ **فتنة للناس** ﴾ يؤيد أنها رؤيا عين وأسراء شخصي إذ ليس في الحلم فتنة لأن كل واحد يرى مثل ذلك في منامه . . .

أما ما جاء في الحديث (بين النائم واليقظان) وفي الرواية الأخرى وهو نائم (**فليس فيه حجة ، إذ أن الإحتمال القائم أن وصول**

الملك إليه كان وهو نائم ، أو أن أول حمله والإسراء به كان وهو نائم . .) .

وأما الحديث (ثم أستيقظت) وأنا في المسجد الحرام ، فيمكن تفسيره إلى أن (أستيقظت) بمعنى (أصبحت) أو أستيقظ من نوم آخر بعد وصوله إلى بيته ، والدليل على هذا أن الإسراء كان في جزء من الليل . . .

المعراج
كان كذلك بالروح والجسد

بعد أن تضافرت الآراء والأدلة على ثبوت أن الإسراء إلى المسجد الأقصى كان بالروح والجسد بدلالة لفظ قوله تعالى ﴿ بعبده ﴾ الذي يطلق على الروح والجسد معاً ، وذلك نص قاطع لا يحتمل التأويل . . فأنها تتضافر أيضاً وتجمع على أن العروج كان بالروح والجسد لأنه وقع عقب الإسراء مباشرة بعد أن صلى النبي الرسول محمد ﷺ بالمسجد الأقصى وخرج فوجد أمامه المعراج الذي حمله إلى السموات العلى ، وبعد رحلة العروج المقدسة رجع فركب البراق في العودة إلى المسجد الحرام .

لا مجال للقول بالعروج بالروح دون الجسد

وأنه عليه الصلاة والسلام لم ينم بالمسجد الأقصى حتى يحتمل القول بأنه عرج بروحه دون جسده وكذلك لم تخرج روحه الشريفة من جسده وهو في حالة اليقظة في المسجد الأقصى لامتناع ذلك .

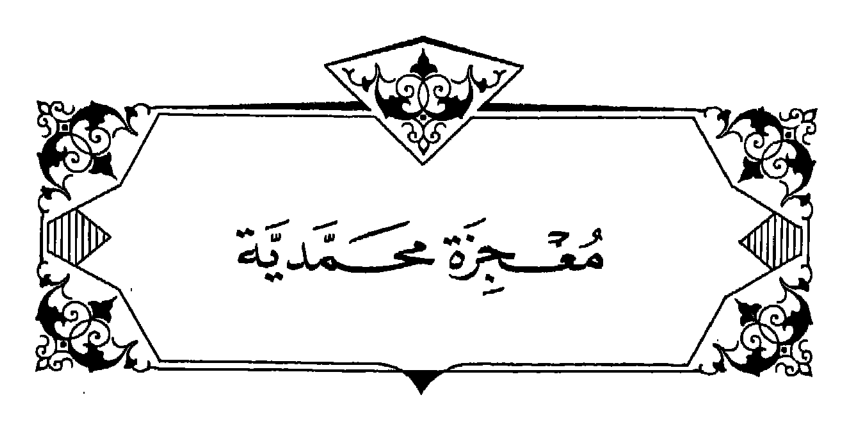
لأن العروج بالروح فقط أما أن يكون في حالة النوم أو في اليقظة ولم يثبت أنه ﷺ نام في المسجد الأقصى ، فانتفى رأي من رأى ذلك . . .

وأما أن يكون العروج في اليقظة بالروح ، وهذا أمر مرفوض وغير معقول ، لأن الله تبارك وتعالى يقبض الأرواح إما قبضاً جزئياً أو كلياً والقبض الجزئي يكون عند النوم ، ولم يثبت أنه عليه الصلاة والسلام نام في المسجد الأقصى كما سبق . . .

وأما القبض الكلي فهو قبض الروح عند الموت كما يقرر القرآن ذلك في قوله تعالى ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها** ﴾ ، ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى [٤٢ : الزمر] وهذا القبض الكلي يحدث مرة واحدة فقط .

ومن هنا ينتفي العروج بالروح إذ يلزم من ذلك موته عليه الصلاة والسلام مدة العروج به وفي ذلك استحالة إذ لم يقل أحد أن النبي الرسول محمد صلوات الله عليه وسلامه قبض مرتين . . مرة عند الروح ، ومرة عند التحاقه بالرفيق الأعلى . . .

وبهذا يتوارى الرجي الذي ذهب إلى أن العروج كان بالروح فقط ولا يبقى بعدئذ إلا التسليم بأن العروج كان بالروح والجسد معاً .

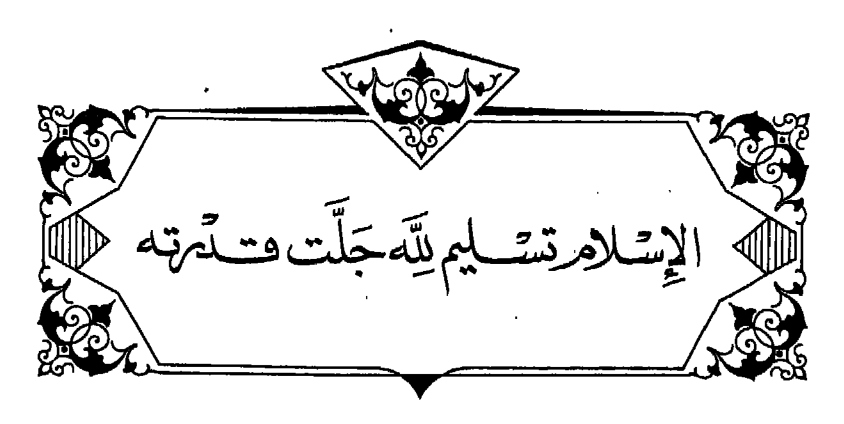


مُعجزة محمَّديَّة

بعد أن استعرض القاضي عياض في كتابه « الشفاء » بتعريف حقوق المصطفى ﷺ آراء العلماء في حادثة الإسراء والمعراج ـ قال :

وَالْحَقُّ مِنْ هٰذَا وَالصَّحِيحُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَنَّهُ إِسْرَاءٌ بِالْجَسَدِ وَالرُّوحِ فِي الْقِصَّةِ كُلِّهَا وَعَلَيْهِ تَدُلُّ الآيَةُ وَصَحِيحُ الأَخْبَارِ وَالاعْتِبَارِ وَلاَ يُعْدَلُ عَنِ الظَّاهِرِ وَالْحَقِيقَةِ إِلَى التَّأْوِيلِ إِلاَّ عِنْدَ الاسْتِحَالَةِ ، وَلَيْسَ فِي الإِسْرَاءِ بِجَسَدِهِ وَحَالِ يَقْظَتِهِ آسْتِحَالَةٌ إِذْ لَوْ كَانَ مَنَامًا لَقَالَ بِرُوحِ عَبْدِهِ وَلَمْ يَقُلْ بِعَبْدِهِ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ وَلَوْ كَانَ مَنَامًا لما كَانَتْ فِيهِ آيَةٌ وَلاَ مُعْجِزَةٌ وَلَمَّا آسْتَبْعَدَهُ الْكُفَّارُ وَلاَ كَذَّبُوهُ فيه وَلاَ آرْتَدَّ بِهِ ضُعَفَاءُ مَنْ أَسْلَمَ ، وَافْتَتَنُوا بِهِ إِذْ مِثْلُ هَذَا مِنَ الْمَنَامَاتِ لا يُنْكَرُ بَلْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْهُمْ إِلاَّ وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ خَبَرَهُ إِنَّمَا كَانَ عَنْ جِسْمِهِ وَحَالِ يَقْظَتِهِ إِلَى مَا ذُكِرَ فِي الْحَدِيثِ مِنْ ذِكْرِ صَلاَتِهِ بِالأَنْبِياءِ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ فِي رِوَايَةِ أَنسٍ أَوْ فِي السَّمَاءِ عَلَى مَا رَوَى غَيْرُهُ . وَذِكْرُ مَجِيءِ جِبْرِيلَ لَهُ بِالْبُرَاقِ ، وَخَبَرِ المِعْرَاجِ ، وَاسْتِفْتَاحِ السَّماءِ فَيُقَالُ وَمَنْ مَعَكَ فَيَقُولُ مُحَمَّدٌ وَلِقَائِهِ الأَنْبِيَاءِ فِيهَا وَخَبَرِهِمْ مَعَهُ وَتَرْحِيبِهِمْ بِهِ وَشَأْنِهِ فِي فَرْضِ

الصَّلاَةِ وَمُرَاجَعَتِهِ مَعَ مُوسَى في ذَلِكَ إِلَى بَعْضِ هَذِهِ الأَخْبَارِ ، فَأَخَذَ يَعْنِي جِبْرِيلَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ إِلَى قَوْلِهِ ثُمَّ عَرَجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ بِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الأَقْلاَمِ وَأَنَّهُ وَصَلَ إِلى سِدْرَةِ المُنْتَهَى ، وَأَنَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَرَأَى فِيهَا مَا ذَكَرَهُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ رَآهَا ﷺ لاَ رُؤْيَا مَنَام .



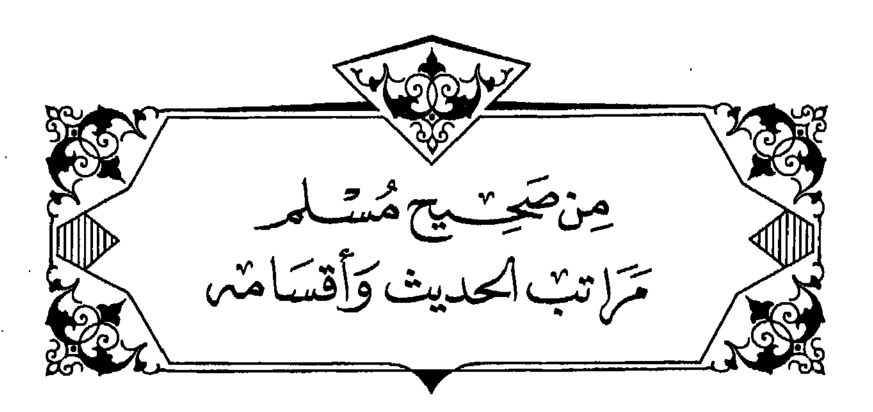
الإسلام تسليم لله جلت قدرته

ومن قبل ومن بعد تبقى قضية مقدسة ثابتة هي أن الإسلام تسليم لله ، وإيمان بقدرته ومشيئته وأنه فعال لما يريد ، وتصديق وإذ كان لكل ما جاء به القرآن والسنة عن الرسول الذي لا ينطق عن الهوى . .

ولنا أسوة في أبي بكر الصديق رضي الله عنه في حين قال بعد أن أخبره المشركون بما سمعوه من النبي ﷺ عن الإسراء والمعراج، فقد قال لهم : « **لئن كان قال ذلك لقد صدق** » بل أنه قد ذهب إلى أبعد من ذلك ، فقال : « **أني لأصدقه إلى أبعد من ذلك** » أصدقه في خبر السماء في غدوة أوروحة ومن هنا سمي بالصديق وذلك ثابت من الأحاديث المتواترة ، وفيها الدليل القاطع على أن العروج كان بالروح والجسد فهذا قول جبريل عليه السلام لحراس أبواب السموات السبع « إفتح » مستأذناً بالدخول ، فهذا الإستئذان دليل صريح على أن المعراج كان بالروح والجسد ، وإلا لما إحتاج إلى الإستئذان ، لأن الأرواح نورانية لا تحول الأبواب دون عروجها ومن الأدلة كذلك أن معراج النبي كان ليريه الله تعالى الآيات الكبرى والنائم لا يرى في منامه مثل ذلك ثم أن لفظ لنريه وقول « **علمه شديد القوى** » وقوله ثم دنا فتدلى وقوله ؛ « **ما كذب الفؤاد ما رأى** » وقوله ؛ « **ما زاغ البصر وما**

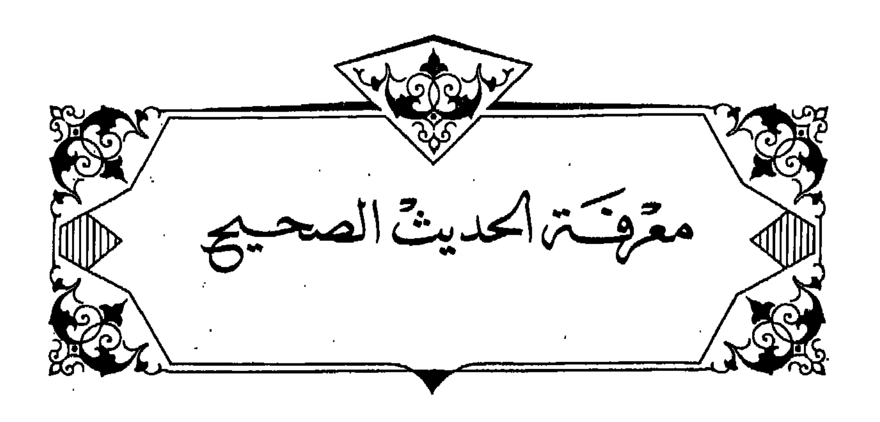
طغى » في القـرآن الكريم ، كـل هذه الآيـات فيهـا الـدلالـة على أن المعراج كان بالروح والجسد .

وبعد ربنا آمنا بما أنزلت وأتبعنا الرسول فأكتبنا مع الشاهـدين ؛ ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله لا نفرق بين أحد من رسوله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما أكتسبت ربنا لا تؤآخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا أصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا وأغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ .



وردت عن الإسراء والمعراج أحاديث كثيرة لرواة ثقاة متعددين غير أن هناك إسرائيليات حاولت أن تبث سمومها وأن تزحف هزيلة إلى بعض قليل من الروايات وإن لم يكتب لها البقاء . .

من أجل ذلك لم تكن هناك مندوحة من ورود البحث التالي من أقسام ومراتب الحديث لنتبين الطريق الصحيح والله أعلم .



في معرفة الحديث الصحيح ، وبيان أقسامه وبيان الحسن والضعيف وأنواعها . قال العلماء الحديث ثلاثة أقسام . . صحيح ، وحسن ، وضعيف ولكل قسم أنواع . .

فأما الصحيح فهو ما إتصل سنده بالعدول الضابطين من غير شذوذ ولا علة ، فهذا متفق على أنه صحيح ، فإن اختل بعض هذه الشروط ففيه خلاف وتفصيل .

وقال الإمام أبو سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب الخطابي الفقيه الشافعي المتفنن ؛ الحديث عند أهله ثلاثة أقسام . . صحيح وحسن وسقيم فالصحيح ما إتصل سنده وعدلت نقلته ، والحسن ما عرف مخرجه واشتهر رجاله وعليه مدار أكثر الحديث وهو الذي يقبله أكثر العلماء وتستعمله عامة الفقهاء ، والسقيم على ثلاث طبقات شرها الموضوع ثم المقلوب ثم المجهول .

قال الحاكم أبو عبد الله النيسابوري في كتابه المدخل إلى كتاب الإكليل : الصحيح من الحديث عشرة أقسام ، خمسة متفق عليها ، وخمسة مختلف فيها ، فالأول من المتفق عليه اختيار البخاري ومسلم

وهو الدرجة الأولى من الصحيح ، وهو أن لا يذكر إلا ما رواه صحابي مشهور عن رسول الله ﷺ له راويان ثقتان فأكثر ، ثم يرويه عنه تابعي مشهور بالرواية عن الصحابة وله أيضاً راويان ثقتان فأكثر ثم يرويه عنه من أتباع الأتباع الحافظ المتقن المشهور على ذلك الشرط ، ثم كذلك قال الحاكم والأحاديث المروية بهذه الشريطة لا يبلغ عددها عشرة آلاف حديث . .

القسم الثاني مثل الأول إلا أن راويه من الصحابة ليس له إلا راوٍ واحد . . القسم الثالث مثل الأول إلا أن راويه من التابعين ليس له إلا راوٍ واحد . القسم الرابع الأحاديث الأفراد الغرائب التي رواها الثقاة العدول . . القسم الخامس أحاديث جماعة من الأئمة عن آبائهم عن أجدادهم ولم تتواتر الرواية عن آبائهم عن أجدادهم بها إلا عنهم كصحيفة عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وبهز بن حكيم عن أبيه عن جده وإياس بن معاوية عن أبيه عن جده وأجدادهم صحابيون وأحفادهم ثقاة .

قال الحاكم فهذه الأقسام الخمسة مخرجة في كتب الأئمة فيحتج بها وإن لم يخرج منها في الصحيحين حديث يعني غير القسم الأول . . قال والخمسة المختلف فيها المرسل وأحاديث المدلسين إذا لم يذكروا سماعهم وما أسنده ثقة وأرسله جماعة من الثقاة وروايات الثقاة غير الحفاظ العارفين وروايات المبتدعة إذا كانوا صادقين فهذا آخر كلام الحاكم وسنتكلم عليه بعد حكاية قول الجياني إن شاء الله تعالى .

وقال أبو علي الغساني الجياني الناقلون سبع طبقات ثلاث مقبولة وثلاث متروكة والسابعة مختلف فيها .

(فالأولى (أئمة الحديث وحفاظه وهم الحجة على من خالفهم ويقبل إنفرادهم .

(الثانية (دونهم في الحفظ والضبط لحقهم في بعض روايتهم وهم وغلط والغالب على حديثهم الصحة ويصحح ما وهموا فيه من رواية الأولى وهم لاحقون بهم .

(الثالثة (جنحت إلى مذاهب من الأهواء غير غالية ولا داعية وصح حديثها وثبت صدقها وقل وهمها .

فهذه الطبقات احتمل أهل الحديث الرواية عنهم وعلى هذه الطبقات يدور نقل الحديث .

وثلاث طبقات أسقطهم أهل المعرفة . (الأولى) من وسم بالكذب ووضع الحديث (الثانية) من غلب عليه الغلط والوهم . (الثالثة) طائفة غلت في البدعة ودعت إليها وحرفت الروايات وزادت فيها ليحتجوا بها . (الرابعة) قوم مجهولون إنفردوا بروايات لم يتابعوا عليها فقبلهم قوم ووقفهم آخرون . هذا كلام الغساني .

فأما قوله أن أهل البدع والأهواء الذين لا يدعون إليها ولا يغلون فيها يقبلون بلا خلاف فليس كما قال بل فيهم خلاف وكذلك في الدعاة خلاف مشهور سنذكره قريباً إن شاء الله تعالى حيث ذكره الإمام مسلم رحمه الله .

وأما قوله في المجهولين خلاف فهو كما قال وقد أخل الحاكم

بهذا النوع من المختلف فيه . . ثم المجهول أقسام ؛ مجهول العدالة ظاهراً وباطناً ، ومجهولها باطناً مع وجودها ظاهراً وهو المستور ، ومجهول العين .

فأما الأول ؛ فالجمهور على أنه لا يحتج به .

وأما الآخران فاحتج بهما كثيرون من المحققين .

وأما قول الحاكم إن من لم يرو عنه إلا راوٍ واحد فليس هو من شرط البخاري ومسلم فمردود غلطة الأئمة فيه بإخراجهما حديث المسيب بن حزن والد سعيد بن المسيب في وفاة أبي طالب لم يرو عنه غير إبنه سعيد وبإخراج البخاري حديث عمرو بن تغلب « أني لأعطي الرجل والذي أدع أحب إلي » لم يرو عنه غير الحسن وحديث قيس بن أبي حازم عن مرداس الأسلمي « يذهب الصالحون » لم يرو عنه غير قيس وبإخراج مسلم حديث رافع بن عمرو الغفاري لم يرو عنه غير عبد الله بن الصامت وحديث ربيعة بن كعب الأسلمي لم يرو عنه غير أبي سلمة ونظائر في الصحيحين لهذا كثيرة والله أعلم .

وأما الحسن فقد تقدم قول الخطابي رحمه الله إنه ما عرف مخرجه واشتهر رجاله وقال أبو عيسى الترمذي أن الحسن هو ما ليس في إسناده من يتهم وليس بشاذ وروى من غير وجه . .

وضبط الشيخ الإمام أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله الحسن فقال هو قسمان ؛

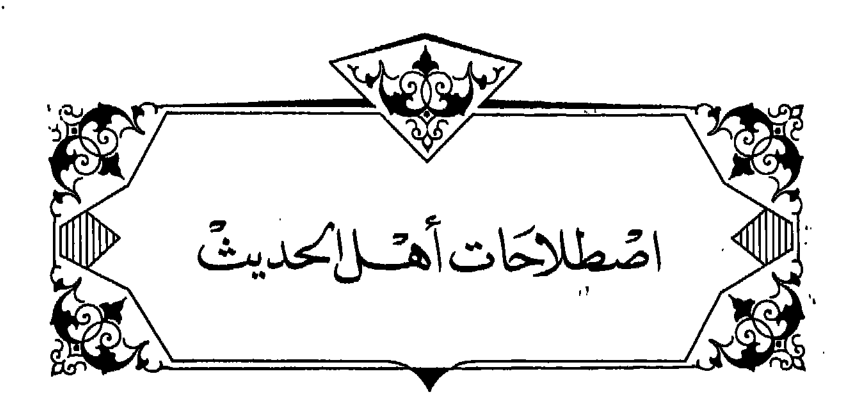
(أحدهما (الذي لا يخلو إسناده من مستور لم تتحقق أهليته وليس كثير الخطأ فيما يرويه ولا ظهر منه تعمد الكذب ولا سبب آخر

مفسق ويكون متن الحديث قد عرف بأن روى مثله أو نحوه من وجه آخر .

القسم الثاني ؛ أن يكون راويه من المشهورين بالصدق والأمانة ولم يبلغ درجة رجال الصحيح لقصوره عنهم في الحفظ والإتقان إلا أنه مرتفع عن حال من بعد تفرده منكراً .

وقال وعلى القسم الأول ينزل كلام الترمذي وعلى الثاني كلام الخطابي فاقتصر كل واحد منهما على قسم رآه خفياً ولا بد في القسمين من سلامتهما من الشذوذ والعلة ، ثم الحسن وإن كان دون الصحيح فهو كالصحيح في جواز الإحتجاج به والله أعلم .

وأما الضعيف فهو ما لم يوجد فيه شروط الصحة ، ولا شروط الحسن ، وأنواعه كثيرة . منها الموضوع والمقلوب والشاذ والمنكر والمعلل والمضطرب وغير ذلك ولهذه الأنواع حدود وأحكام وتفريعات معروفة عند أهل هذه الصنعة وقد أتقنها مع ما يحتاج إليه طالب الحديث من الأدوات والمقدمات ، ويستعين به في جميع الحالات الإمام الحافظ أبو عمرو بن الصلاح في كتابه علوم الحديث .



المرفوع هو ما أضيف إلى رسول الله ﷺ خاصة لا يقع مطلقه على غيره سواء كان متصلاً أو منقطعاً .

وأما الموقوف فهو ما أضيف إلى الصحابي قولاً له أو فعلاً أو نحوه متصلاً كان أو منقطعاً ويستعمل في غيره مقيداً فيقال حديث كذا وقفه فلان على عطاء مثلاً .

وأما المقطوع فهو الموقوف على التابعي قولاً له أو فعلاً متصلاً كان أو منقطعاً .

وأما المنقطع فهو ما لم يتصل إسناده على أي وجه كان إنقطاعه فإن كان الساقط رجلين فأكثر سُمّي أيضاً مُعضَلاً بفتح الضاد المعجمة .

وأما المرسل فهو عند الفقهاء وأصحاب الأصول والخطيب الحافظ أبي بكر البغدادي وجماعة من المحدثين ما إنقطع إسناده على أي وجه كان إنقطاعه فهو عندهم بمعنى المنقطع ، وقال جماعات من المحدثين أو أكثرهم لا يسمى مرسلاً إلا ما أخبر فيه التابعي عن رسول الله ﷺ ثم مذهب الشافعي والمحدثين أو جمهورهم وجماعة من

الفقهاء أنه لا يحتج بالمرسل ، ومذهب مالك وأبي حنيفة وأحمد وأكثر الفقهاء أنه يحتج به ، ومذهب الشافعي أنـه إذا إنضم إلى المرسـل ما يعضده إحتج به وذلك بأن يروي أيضاً مسنداً أو مرسلاً من جهة أخرى أو يعمل به بعض الصحابة أو أكثر العلماء وأما مرسـل الصحابي وهـو روايته ما لم يدركه أو يحضره كقول عائشة رضي الله عنها أول ما بدى به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة فمذهب الشافعي والجمـاهير أنه يحتج بـه وقال الأستـاذ الإمام أبـو إسحاق الاسفـرايني الشافعي لا يحتج به إلا أن يقول أنه لا يروي إلا عن صحابي والصواب الأول .

إذا قال الصحابي كنا نقول أو نفعل أو يقولـون أو يفعلون كذا أو كنـا لا نرى أو لا يـرون بأسـاً بكذا إختلفـوا فيه فقـال الإمام أبـو بكـر الإسماعيلي لا يكون مرفوعاً بل هو موقوف .

وقـال الجمهور من المحـدثين وأصحاب الفقـه والأصول إن لـم يضفه إلى زمن رسول الله ﷺ فليس بمرفوع بل هو موقوف وإن أضافه فقال كنا نفعل في حياة النبي ﷺ أو في زمنه أو وهو فينا أو بين أظهرنا أو نحو ذلك فهو مرفوع وهذا هو المذهب الصحيح الظاهر فإنه إذا فعل في زمنه ﷺ فالظاهر اطلاعه عليه وتقريره إياه ﷺ وذلك مرفوع .

وقال آخرون إن كان ذلك الفعل مما لا يخفى غالباً كان مرفـوعاً وإلا كان موقوفاً وبهذا قطع الشيخ أبو إسحاق الشيرازي الشـافعي والله أعلم .

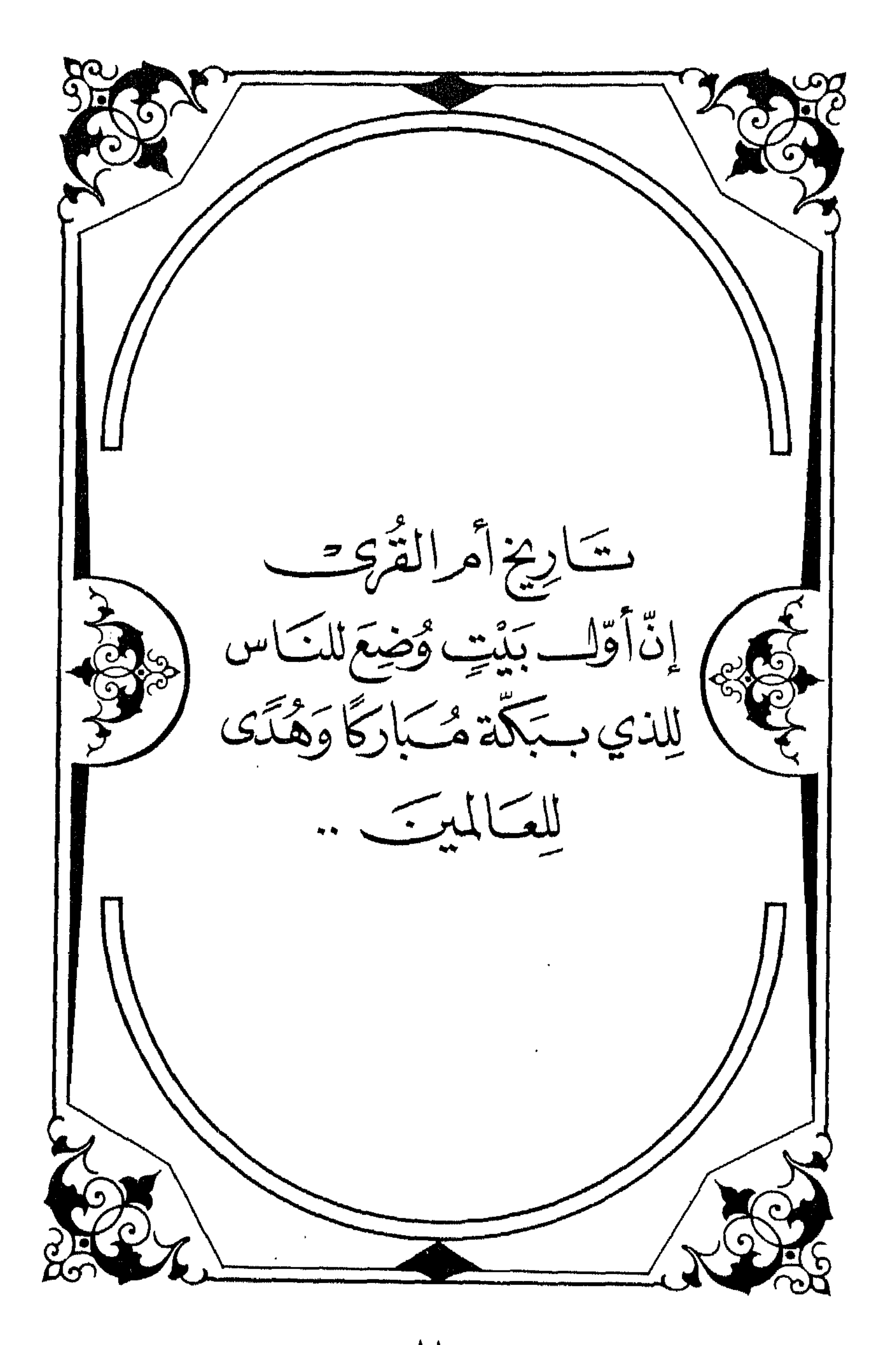
وأما إذا قال الصحابي أمرنا بكذا أو نهينا عن كذا أو من السنة كذا

فكله مرفوع على المذهب الصحيح الذي قاله الجماهير من أصحاب الفنون وقيل موقوف .

وأما إذا قال التابعي من السنة كذا فالصحيح أنه موقوف .
وقال بعض أصحابنا الشافعيين إنه مرفوع مرسل .

وأما إذا قيل عند ذكر الصحابي يرفعه أو ينهيه أو يبلغ به أو رواية فكله مرفوع متصل بلا خلاف .

أما إذا قال التابعي كانوا يفعلون فلا يدل على فعل جميع الأمة بل على بعض الأمة فلا حجة فيه إلا أن يصرح بنقله عن أهل الإجماع فيكون نقلاً للاجماع وفي ثبوته بخبر الواحد خلاف .



تاريخ أم القرى

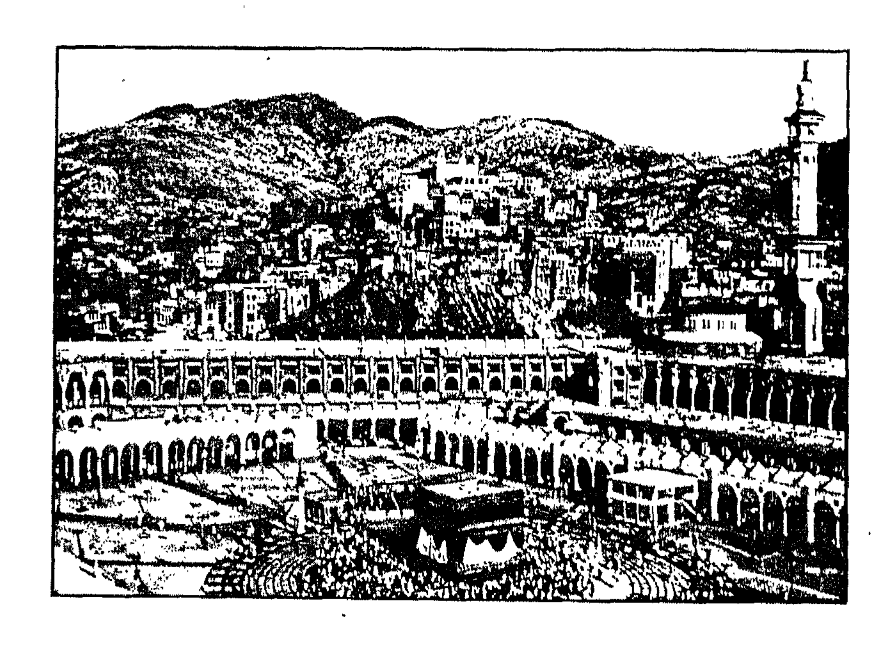
إنّ أوّل بيتٍ وُضع للناس للذي ببكّة مُباركًا وهُدًى للعالمين ..

بسم الله الرحمن الرحيم



بسم الله الرحمن الرحيم

وكان فضل الله عليك عظيما





مكة المكرمة .. أم القرى .. البلد الأمين .. الأرض الطاهرة .. التي إنطلقت الرسالة الباقية خاتمة الرسالات منها حمل الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه .. منذ بدء الرسالة المحمدية الخالدة ، مشاعل النور والحق والهداية إلى أرجاء الأرض ، فدخل الناس في دين الله أفواجاً .. وأصبحت مكة وجهتهم .. والكعبة المشرفة في مكة قبلتهم يولون إليها وجوههم خمس مرات يومياً في صلاتهم .. ويذهبون إليها حجاجاً ومعتمرين ..

موقع مكة المكرمة ..

تقع مدينة مكة المكرمة على السفوح الدنيا لجبال « الروات » ، وهي تمثل نقطة الإلتقاء بين تهامة وهذه الجبال ، وتحيط بها الجبال من جميع جهاتها ، ويمثل موقعها منتصف خط القوافل القديم بين اليمن وبلاد الشام ، ولهذا تمتعت بشهرة كبيرة في التجارة .

مناخ مكة المكرمة ..

يبلغ معدل الحرارة السنوي حوالي (٣١°) وللمناخ دور كبير في التكوين الحياتي للمدينة المقدسة وأهلها ..

مكة عرفت منذ قديم

في العهود القديمة ، وقبل عهد إبراهيم الخليل عليه السلام ، عرفت مكة . . من أحقاب طويلة ممعنة في القدم . . وبعد هجرة إسماعيل عليه السلام إليها ، وتفجر مياه زمزم ، ورفع قواعد الكعبة المشرفة أصبح المكان المقدس مطمح الموحدين لله والمؤمنين به ، وأقبل إليه العديد من القبائل مثل جرهم ، وقطورا ، ثم قبيلة خزاعه ، وفي منتصف القرن الخامس الميلادي آل الأمر في مكة إلى قصي بن كلاب ودانت له زعامة البلد المقدس . . ومن ذلك الحين إنتشرت بطون قريش في شعاب مكة المكرمة ، وإبتداء العمران والحياة الاجتماعية تنمو . . وتأخذ في التكاثر . .

عظمة مكانة مكة بين العرب

منذ ما قبل الإسلام كانت لمكة مكانة عظيمة بين العرب ، فلقد كانت فيها الكعبة ، فكانت مكاناً للعبادة في أي شكل صنعوه . . ولم يكونوا يجدون في أنفسهم الشعور بالوحدة والإستقلال إلا فيها . . لأنها لم تكن كغيرها من البلاد الغربية في أطراف جزيرتهم ، فإن الشام مثلاً كانت خاضعة للروم أحياناً ، وللفرس أحياناً ، والحيرة وشتى الأطراف الشرقية تحت سلطان الفرس ، واليمن كانت حبشية مرة ثم فارسية أخرى ، وكانت قبل ذلك تحت نفوذ أهلها من الملوك القاهرين المستبدين ، ولم يكن الأمر كذلك في مكة ، فلم يكن فيها حاكم أو ملك مستبد من أهلها ولا من غيرهم من الأجانب .

عبادة الأصنام

وقد جمع بعض رجالها قبل الإسلام بأجيال أصناماً من أطراف شتى في بلاد العرب ، فكانت كل قبيلة تجد عند الكعبة صنماً لإلـهها الذي تعبده حتى بلغت هذه الأصنام ٣٦٠ حسبما ذكر الرواة ، غير أنه يبدو أن هذا العدد مبالغ فيه لعدم إستيعاب ساحة الكعبة لهذا العدد . .

مكة هي « ميشة »

وقد ثبت أن مكة هي « ميشة » المذكورة في سفر التكوين من التوراة ، وكانت لكعبتها قداستها من قبل ذلك إذ كان أبناء الهند والخليج يأتون إليها ، وكان يأتي كذلك إليها الصابئة في جنوبي العراق ، فيعبدون عندها آلهتهم ، وإن لم يعبدوا آلهة العرب .

مكة مثابة للعباد في مواسم الحج والتجارة

وكانت مكة مثابة للعباد جميعاً في مواسم الحج قبل الإسلام ، لما يجدون هناك من أمن وفسحة في العبادة ، وإن كانوا قد جاءوا إليها من كل هذه الجهات بغرض التجارة ، إذا كانت مع إستقلالها ، أكبر المراكز التجارية في الحجاز قبل الإسلام ببضعة قرون ، حيث كانت تنقل خلالها تجارة الشرق إلى الغرب ، وتجارة الغرب إلى الشرق .

ولهذا طمعت في فتحها كل الدول القوية التي ظهرت بقربها من اليونان « الإسكندر المقدوني والروم والفرس والأحباش » . . غير أن أياً من هذه الدول الطامعة لم تتمكن مما كانت تطمع فيه ، ولم تسيطر على مكة أي من هذه الدول .

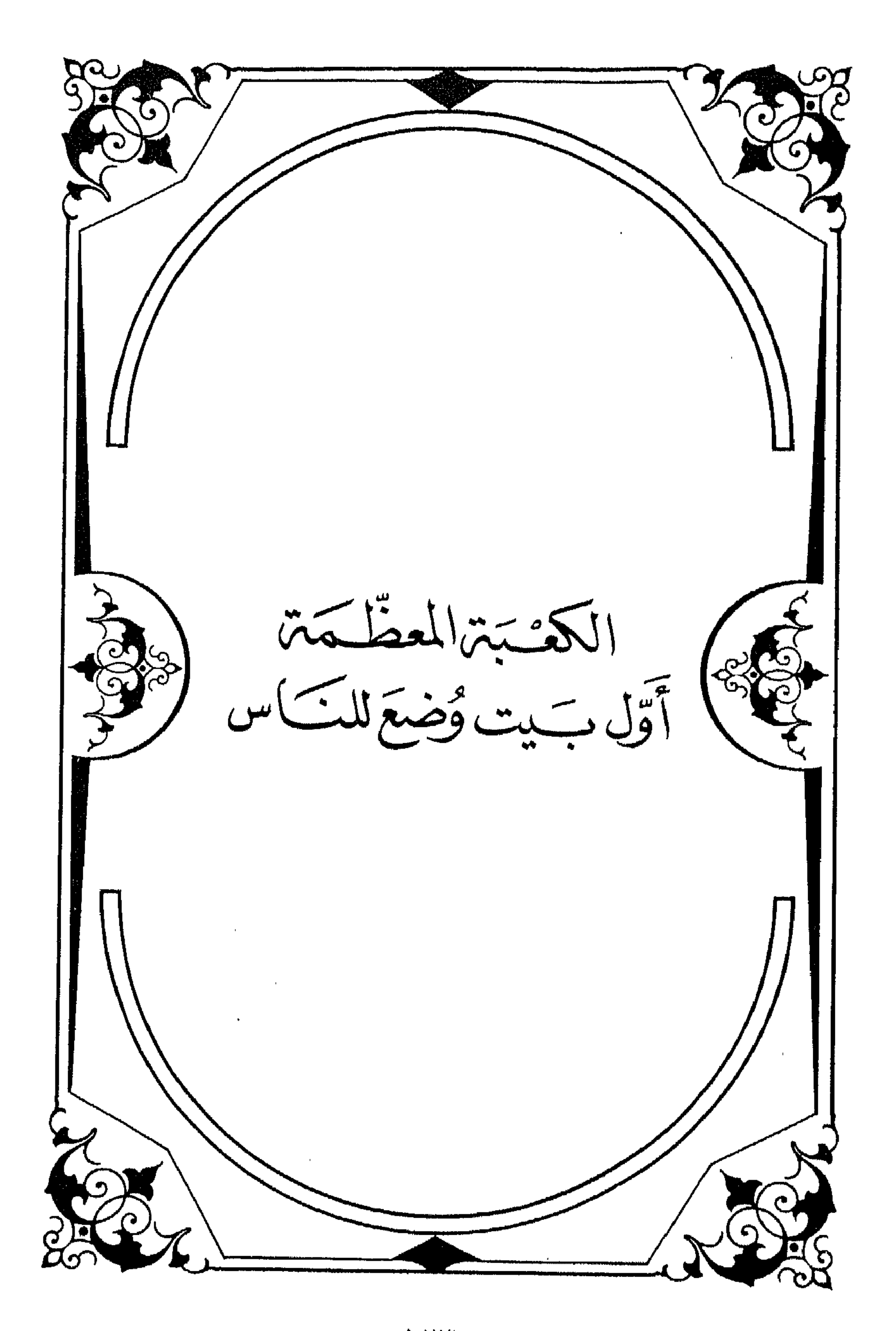
مكة المكرمة في العهد الإسلامي

أما في العهد الإسلامي ، ومنذ إختارها الله تبارك وتعالى لتكون منطلق الدعوة للإسلام ، فقد شهدت عدة فترات هامة في تاريخها المجيد . .

فمنذ صدر الإسلام وحتى عام ١٣٢ هـ أي حتى نهاية الدولة الأموية شهدت مكة فترة إزدهار حيث كان سكانها من الصحابة والتابعين . أما الفترة التالية وهي من ١٣٢ هـ - ٩٢٣ هـ أي منذ أوائل العهد العباسي وحتى حكم المماليك ، فقد شهدت فترة من الركود لإنتشار الفتن والقلاقل خلال أيام العباسيين والفاطميين والأيوبيين ، والمماليك ، وبعد ذلك عاد إليها إزدهارها وشهدت فترة من الإنتعاش في ٩٢٣ هـ - ١٣٤٣ هـ ، وزادت الهجرة إليها في العهد العثماني الثاني . .

إزدهار مكة في العهد السعودي

ويمضي التاريخ في سيره وتتوحد الجزيرة العربية ، وتصبح مملكة على يد الملك عبد العزيز آل مسعود ، ومنذ ذلك الحين ومكة تتقدم من إزدهار إلى إزدهار أبهى وشهدت نمواً وتطوراً جعلها من المدائن الحديثة ، وعمها الإستقرار واستتباب الأمن والخير العميم ، وصاحب ذلك تدفق ثروات النفط التي كان لها أثر كبير في تطورها النموذجي .



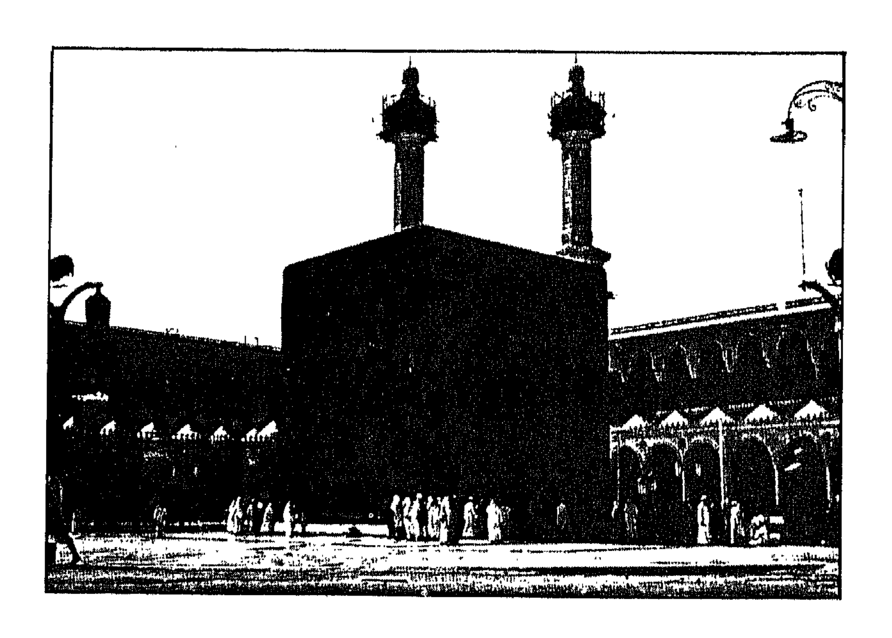
الكعْبَة المعظّمة
أوّل بَيت وُضعَ للناس

بسم الله الرحمن الرحيم



بسم الله الرحمن الرحيم

وكان فضل الله عليك عظيما





الحديث عن تاريخ الحرم الشريف هو في جوهرة أساس ومنطلق للوقوف على هذا المتجر الذي يهم العالم الإسلامي كله في جميع أنحاء البسيطة . .

فإن الكعبة المشرفة قبلة المسلمين الخالدة في مشارق الأرض ومغاربها ، فهم يتجهون إليها في كل صلاة ، وسيظلون كذلك إلى يوم القيامة .

ورد ذكرها في القرآن الكريم مرتين في سورة المائدة في الآيتين ٩٥، ٩٧ واسم الكعبة وارد كثيراً في الأحاديث النبوية ، وفي كلام العرب المنثور ، وفي المراجع اللغوية والتاريخية والأدبية ، وفي السيرة النبوية . . والمعنى بهذا الاسم هو نفس « البيت الحرام » بمكة المكرمة ، وتقول المراجع اللغوية المعتمدة . أن اسم الكعبة مشتق من مادة التكعيب في اللغة العربية وهو ؛ التربيع ، أو مع الإرتفاع . قالوا ؛ ومنه الكعب ، سمي بهذا الاسم لنتوئه وخروجه من جانبي القدم . .

بناة الحرم وأطوار بنائه قديماً وحديثاً

وقد إختلف المؤرخون في أول من بني الكعبة المعظمة فقيل أول

من بنـاهـا خليـل الله إبـراهيم عليـه السـلام وقيـل أول من بنـاهـا الملائكة الكرام عليهم السلام ولم يرد نص صريح في ذلك من كتاب أو سنة ، والقرآن الكريم ذكر فقط أن إبـراهيم الخليل عليـه السلام رفـع قواعد البيت مع ابنه إسمـاعيل عليهمـا السلام ، وقـد ذكر المؤرخـون قديماً وحديثاً أن الكعبة بنيت قبل إبراهيم عليه الصلاة والسلام بنتها أولاً الملائكة ثم آدم ثم ابنه شيت ثم إبراهيم عليهم جميعاً السلام . هـذا الذي أتى لنا التاريخ به ونحن نروي ما روى التاريخ ، كما نوافق على ما ذكره المؤرخون حيث يطمئن إليه قلبنا ونستـدل على ذلك بمـا رواه الإمام الأزرقي وهو أمام في علم الحديث والتاريخ وهو من علماء مكة ومن أهل القرن الثاني الهجري وتاريخه هو أول تاريخ لمكة المشـرفة وصل إلينا ويعتمد عليه وكفى به حجة فقد قال عنـد بناء إبـراهيم عليه الصلاة والسلام الكعبـة ما نصـه يقول ابن عباس : فقامـا أي إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام يحفران عن القواعد ويقولان (ربنا تقبل منـا إنـك أنت السميع العليم) ويحمـل له إسمـاعيل الحجـارة على رقبته ويبني الشيـخ إبـراهيـم عليـه السـلام إلـخ . . وروى أيضـاً فـي موضع آخر عن عثمان بن سلج عن وهب بن منبه أنه أخبره قال : لمـا ابتعث الله تعـالى إبـراهيم خليله ليبنى لـه البيت طلب الأسـاس الأول الـذي وضعه بنـو آدم في موضـع الخيمة التي عـزى الله بها آدم عليـه السلام من خيام الجنة حيث وضعت له بمكة في موضع البيت الحرام فلم يزل إبراهيم يحفر حتى وصل إلى القواعد التي أسس بنـو آدم في زمـانهم في موضـع الخيمة فلمـا وصل إليهـا أظل الله لـه مكان البيت بغمامة الخ ، ويقصد الإمام رحمه الله تعالى بقولـه : (التي أسس بنو آدم في زمـانهم) آدم وابنـه شيث عليهمـا السـلام ولقـد ذكـر الإمـام

رحمه الله في أول تاريخه أيضاً عن بناء الملائكة وآدم عليهما السلام (إن جبريل عليه السلام ضرب بجناحه الأرض فأبرز عن أسس ثابت على الأرض السفلي فقذفت فيه الملائكة من الصخر ما لا يطيق حمل منها ثلاثون رجلاً) إلى آخر ما ذكره مطولاً عن الأزرقي في هذا الصدد .

الكعبة مركز الأرض

جاء في معجم البلدان لياقوت الحموي (وقد جاء في الأخبار أن أول ما خلق الله في الأرض مكان الكعبة ، ثم دحا الأرض من تحتها ، فهي سرة الأرض ووسط الدنيا ، وأم القرى أولها الكعبة ، ومكة حول الكعبة ، وحول مكة الحرم وحول الحرم الدنيا (مادة الكعبة) .

سدانة الكعبة قبل الإسلام

وقد فصل القول في موضوع السدانة قبل الإسلام ابن ظهيرة القرشي المخزومي فقال : (وكانت السدانة قبل قريش لطسم قبيلة من عاد ، فاستخفوا بحق البيت ، فاهلكهم الله ، ثم وليته خزاعة بعد جرهم دهراً طويلاً حتى صار الأمر إلى أبي غبشان ، فباع مفتاح البيت من قصي بن كلاب بزق من خمر ، فقيل في ذلك : (أخس من صفقة أبي غبشان) فذهبت مثلاً ، وصارت حجابة الكعبة من بعد خزاعة لقصي ، وانتهى إليه أمر مكة بعد ذلك فأعطى ولده عبد الدار السدانة وهي الحجابة ، وأعطى عبد مناف السقاية والرفادة ، ثم جعل عبد الدار الحجابة إلى ولده عثمان . (الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف) لمحمد الله ابن ظهيرة القرشي .

أبرهة الحبشي ومحاولة هدم الكعبة

حاول أبرهة الحبشي صرف العرب عن الكعبة ، والقضاء على نفوذ مكة الاقتصادي والديني والسياسي ، فأقام (القليس) وهو الكنيسة الضخمة التي أقامها في صنعاء قبل مولد النبي بأقل من نصف قرن ، فقد فتح الأحباش اليمن لأسباب سياسية وأقتصادية ودينية ، وحكموها نصف قرن (٥٢٥ ـ ٥٧٥م) وقد حاول أبرهة إدخال أهل اليمن ثم العرب في المسيحية عن طريق هذه الكنيسة ونشاطها في التنصير ، وقد سماها العرب (القليس) تعريباً للكلمة اليونانية (أكليزيا EKKLISTA) أي كنيسة ، وقد غلبته لهفته على تنفيذ مشروعه في اخضاع الحجاز بعد اليمن فحاول فتح مكة في حملة فاشلة تتقدمها الفيلة في العام الذي سماه العرب عام الفيل ٥٧٠م ، وفيه ولد النبي فجرد جيشاً جراراً تتقدمه الفيلة لهدم الكعبة ونقل شعائر الحج بعد ذلك للبناء الذي أقامه في صنعاء وقد تقدم نحو مكة غازياً لها من الجنوب ، بجيش عرمرم مشترك يدعم هيبته الفيل . . وقد لجأ عبد المطلب ابن هاشم سيد مكة إلى الله جل وعلا وحده ، وتشبث بحلقات باب الكعبة ورفع ابتهالاً مخلصاً إلى الله سبحانه يدعوه بحرارة . . فأهلكهم الله تعالى . .

قال رب العزة والجلال : ﴿ **ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول** ﴾ .

وبفشل حملته رسخت وزادت مكانة قريش ومكة وكعبتها بين العرب دينياً وأقتصادياً وسياسياً وكان ذلك من التوفيقات الإلهية لظهور

الإسلام ثم أنتشاره بعد فتح النبي مكة .

ونحن نعلم أن قريشاً في مكة لم تدخر قوة ولا حولا في الوقوف ضد دعوة النبي ومن دخل فيها حتى أضطرتهم إلى الهجرة منها ، ولكن ما أن فتح مكة وحطم أصنام الكعبة حتى بدأت تتخلخل مقاومة قبائل العرب في جميع أنحاء الجزيرة وتراجع عقولها في مصالحته والدخول في دينه ، فأرسل سراياه لهدم كل الأصنام وبيوتها ، والاستيلاء على كنوزها من الهدايا والنذور ، وكان فيها كثير من الحلى والسيوف ، كما أرسل بعض كبار صحابته إلى هذه القبائل ولاة ومعلمين وقضاه وجباة ، وهذا يدل على ما كان لقريش ومكة من مكانة رفيعة في نفوس العرب جميعاً .

في الجاهلية عظموا الكعبة

كانت الكعبة معظمة ـ لدى عرب الجاهلية تعظيم تقدير وتكريم ، لا تعظيم عباده لها . وقد وصف الله الكعبة فقال : ﴿ **إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين** ﴾ . ولم يكن عرب الجاهلية وحدهم يتخذونها معبداً بل شاركهم غيرهم من الأمم القديمة في ذلك كفارس واليهود والهنود والصابئة على ما ورد في بعض أمهات كتب التاريخ . والبلاد الإسلامية .

مقدسات بالكعبة وحولها :

١ ـ الحجر الأسود :

نص المؤرخون على أن جبريل الأمين (عليه السلام) قدم الحجر الأسود إلى أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام لكي يضعه في

علامة من الكعبة ، ليكون علام بدء الطواف بالكعبة . وقد كشف الرواة الأثبات أنه كان حجراً أبيض اللون ناصع البياض ، ولكن الحرائق التي أصابت الكعبة أحالته إلى لونه الأسود الحالي .

بسم الله الرحمن الرحيم

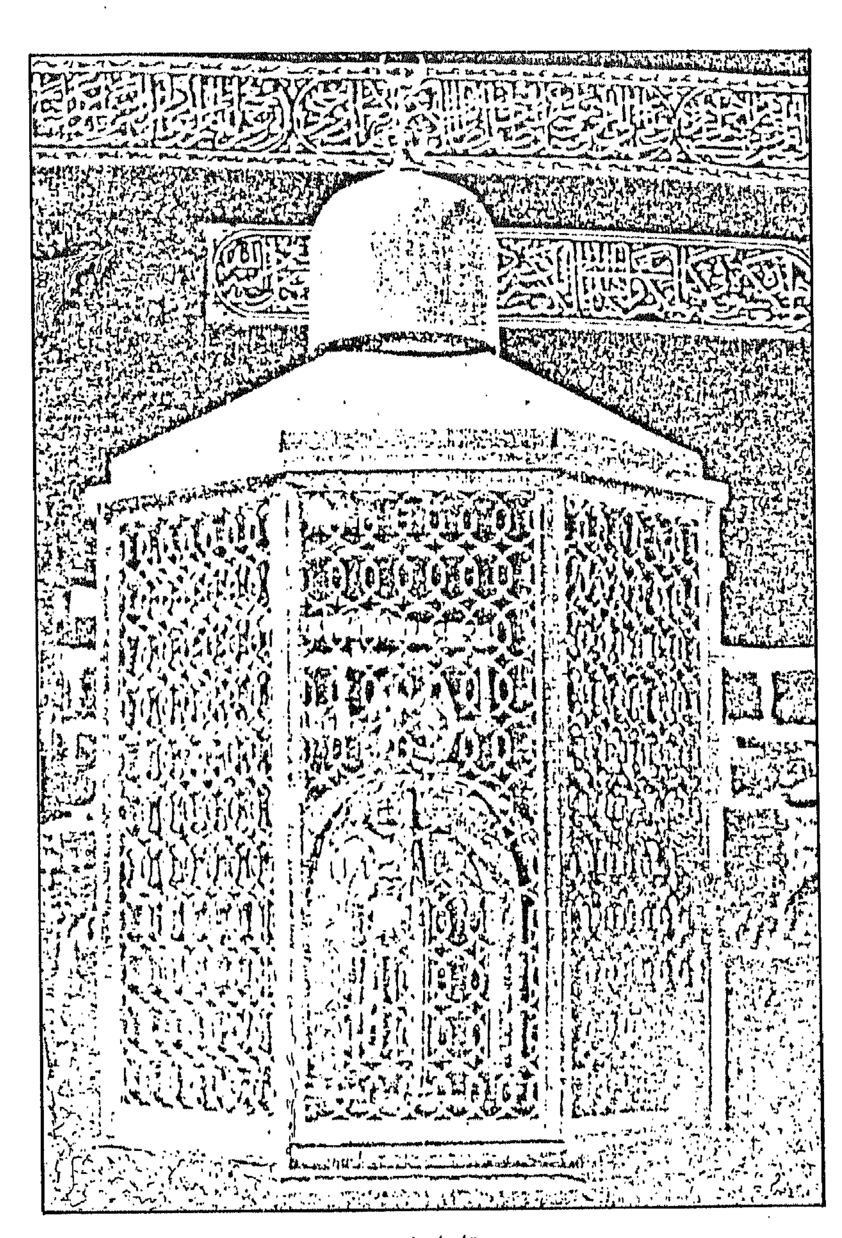
وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾



التفسير :

يا بني إسرائيل اذكروا قصة بناء إبراهيم مع أبنه إسماعيل ، عليهما السلام لبيت الله الحرام . . بمكة . .

ففي هذه القصة عظة بالغة ، لمن كان له قلب سليم . . فلتذكروا ﴿ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس ﴾ أي مرجعاً ، من ثاب إذا رجع ، . . . أو المعنى ، موضع ثواب ، فإن الناس يحجون إليه فيثابون على ذلك ، و (أمنا) يأمن فيه من يلوذ به ، ويأوى إليه . . على نفسه . . ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ موضع صلاة ، وهذا أمر بركعتين بعد الطواف . . .



مقام إبراهيم

وقد روى جابر رضى الله عنه ، . أن النبي ﷺ ، . لما فرغ من طوافه عمد إلى مقام إبراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ (**واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى**) . . .

ومقام إبراهيم هو الحرم كله ، أو الحجر الذي قام عليه عند البناء وفيه أثر قدمه ، أو هو الموضع الذي كان فيه الحجر حين قام عليه وأذن بالحج .

﴿ **وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود** . . ﴾ أي وصينا إبراهيم وإسماعيل ، أن يصونا البيت مما لا يليق بحرمته وأن يهيئاه تهيئة صالحة لمن يؤمه من الطائفين الذين يطوفون به ، والعاكفين أي المقيمين ، والمصلين . واذكروا كذلك دعاء إبراهيم ﴿ **وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً** ﴾ فقد دعا ربه بأن يجعل البلد الذي ينشأ حول البيت آمناً . . ﴿ **وأرزق أهله من الثمرات** ﴾ وأن يرزق أهل هذا البلد من ثمرات الأرض وخيراتها . .

وقد أجاب الله تعالى دعوة إبراهيم عليه السلام ، فحملت الثمار من سائر أقطار الأرض إلى الحرم ، وما زالت تحمل إليه أرقى ثمار العالم بالطائرات والسفن عبر المحيطات والقارات . . .

﴿ **من آمن منهم بالله واليوم الآخر** ﴾ فقد كان دعاؤه عليه السلام قاصراً على من آمن فهم فحسب ، ولذلك قال تبارك وتعالى ﴿ **ومن كفر** ﴾ أي وسأشمل وأمن برزقي حتى على الكافر في اثناء حياته القصيرة ﴿ **فأمتعه قليلاً** ﴾ في الدنيا . . ثم ﴿ **أضطره** ﴾ أي ثم الجئه ﴿ **إلى عذاب النار وبئس المصير** ﴾ مصير هؤلاء الكافرين .

٢ ـ حجر إسماعيل والحطيم والملتزم :

حجر إسماعيل : هو ما يحيط به جدار قصير بشمال الكعبة على شكل نصف دائرة ، وكان إبراهيم جعله عريشاً إلى جانب الكعبة ، وكان حظيرة لغنم إسماعيل على ما ذكره أبو الوليد الأزرقي في كتابه « أخبار مكة » .

والحطيم : على وزن فعيل بمعنى مفعول ، مثل جريح بمعنى مجروح ، أو فعيل بمعنى فاعل مثل حكيم : حجر الكعبة المخرج منها ، وهو حجر إسماعيل نفسه . . والحطيم بين الركن وزمزم والمقام وكانت الجاهلية تتحالف وتحلف عنده ، كما كانت الجاهلية عند الملتزم بالايمان ، وتدعو على الظالم .

٣ ـ بئر زمزم :

ذكر المؤرخون أسماء عديدة لبئر زمزم : هزمة جبريل ، سقيا الله إسماعيل، بركة، سيدة، نافعة، صافية، برة، عافية، مغذية، طاهرة، طعام طعم، شفاء سقم، سابقة، شباعة، شراب الأبرار. . واسم زمزم مختلف في سبب تسمية بئر زمزم به فقيل لكثرة ماء البئر، فإن من معاني الزمزمة عند العرب الكثرة والاجتماع . . أو أن أصل تسميتها بزمزم هو من صوت الماء . . والزمزمة صوت تخرجه الفرس من خياشيمها عند شرب الماء . . ونبع ماء زمزم في الطفولة المبكرة لإسماعيل ابن إبراهيم(عليهما السلام) (عليهما السلام) حينما كان رضيعاً في حضانة أمه هاجر في مكة عندما قدم بهما والده إليها ، واستبقاهما في وادي إبراهيم ، وقد نال إسماعيل ظمأ شديداً ، وكانت أمه وحيدة في الوادي . فصارت من شدة هلعها على ابنها أن يموت ظمأ وجوعاً تسعى

بين جبلي الصفا والمروة سبع مرات ، وقد تركته وحيداً يتشحط من الجوع والظمأ في مكانه ، فتحملت مشقة السعي بين الجبلين (الصفا والمروة) ، لعلها ترى أحداً بالوادي . . وسمعت صوتاً وقالت : قد أسمع صوتك فأغثني أن كان عندك خير . فخرج لها جبريل (عليه السلام) فاتبعته حتى ضرب برجله مكان البئر ، فظهر ماء فوق الأرض ، حيث فحص جبريل . وجاءت أم إسماعيل بشنتها (قربتها) فأستقت وشربت . . الحمد لك يا رب والشكر لك .

عمارات الكعبة قبل الإسلام

من الأمور التاريخية المسلم بها أن أول عمارة للبيت الحرام كانت على يد خليل الله ونبيه أبي الأنبياء إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام . . قال تعالى : ﴿ **وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا أنك أنت السميع العليم** ﴾ .

ولما أكمل إبراهيم عليه السلام هذه العمارة الأولى لبيت الله الحرام أمره الله عز وجل بقوله : ﴿ **وإذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامراً يأتين من كل فج عميق** ﴾ . فأستجابت له البشرية جمعاء ، وبدأ الحج إلى مكة من يومئذ حتى يوم الناس هذا . . منذ أذن إبراهيم في الناس بالحج .

ولم يجعل إبراهيم للكعبة في بنائه لها باباً ، ولا قفلاً ، ولا سقفاً كان بناؤه مثال البساطة التامة .

وثانية العمارات وثالثتها : عمارتا العماليق وجرهم . . وقد نص

الشعر العربي الجاهلي على بناء جرهم للبيت الحرام ومن ذلك قول زهير بن أبي سلمى المزني في معلقته :

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله .

رجال بنوه من قريش وجرهم

وكانت عمارة قريش للكعبة رابعة العمارات قبل البعثة المحمدية . . وكان سبب هذه العمارة الرابعة الحريق الذي شب بالكعبة على آثر تجميرها (أي تبخيرها) من قبل إمرأة قرشية ، وعلى أثر هطول أمطار غزيرة ، ودخول السيل إلى الكعبة . .

كان المسجد الحرام ـ منذ بناه إبراهيم الخليل مع أبنه إسماعيل عليهما السلام هو الكعبة المشرفة إلى أن آل أمر مكة المكرمة إلى قصي بن كلاب الجد الخامس للرسول ﷺ ـ عبارة عن فسحة واسعة حول الكعبة ، ولم يكن حول الكعبة دور مشيدة ، أو جدر محيطة بالمسجد الحرام . فقد كانت القبائل التي قطنت مكة من العمالقة وجرهم وخزاعه وقريش وغيرهم يسكنون في شعاب مكة ، ويتركون ما حول الكعبة تعظيماً لشأنها ، فلا يجترىء أحد أن يبني بجوار الكعبة داراً أو يقيم جداراً . فلما استولى قصي على مكة وعلى مفتاح الكعبة من خزاعة بعد أن دارت بينه وبينها حرب شعواء جمع قصي قومه من بطون قريش وأمرهم أن يبنوا بمكة حول الكعبة ، وترك للطائفين مقدار مدار الطواف ، وجعلوا بين كل دارين من دورهم مسلكاً ينتهي إلى المطاف ، وكان بناء الدور على شكل دائرة ولم يبنوها مربعة الشكل حتى لا تشبه الكعبة ، كما أن أرتفاعها كان أقل من أرتفاع الكعبة

أحتراماً لها ، ولذلك كانت الكعبة ترى من كل أنحاء مكـة لعلوها عن بقية الدور المحيطة بها . وتكاثرت البيوت بتكاثـر السكان ، فلم يكن قبل الإسلام ذكر للمسجد الحرام وإنما كـل ما كـان هو مـدار الطواف حول الكعبة ، لأنـه لم يكن في العصر الجـاهلي صلاة يؤدونهـا حول الكعبة ، وإنما كان المعتاد عنـد العرب في جـاهليتها الـطواف حولهـا فقط . وكانت لهم مجالس حول الكعبة في الصباح والمساء يستظلون من الشمس بظلها . ويتبعـون الأفياء في مجـالسهـم ، ويتحادثـون في شؤونهم العمومية والخصوصية، وكان مدار الطواف في الزمن الجاهلي أشبه بمجلس عموم ، يجتمع فيه عموم الناس ، بخلاف دار الندوة التي كـان لا يسمح بـالدخـول فيها إلا لأنـاس مخصوصين بمـوجب شروط مخصوصة .

بناء قريش

ومع سيرة التاريخ تقوم قريش ببناء الكعبة قبـل الإسلام بخمس سنين وقد أتفقوا على ألا يدخلوا في بنائها من كسبهم ألا طيباً يتجنبون في ذلك مهر البغي وبيع الربا ومظلمة أحد من النـاس ، ثم أن الناس هابوا هدمها وفرقوا منه ، فقال الوليد بن المغيرة أنا أبدؤكم في هدمهـا فأخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول(اللهم لم ترع) - (هي كلمة تقال عند تسكين الروع والتأنيس وأظهار اللين والبر في القول وهذا الموطن لا ينفي فيه الروع ولكن الكلمة تقتضي أظهار قصد البر فلذلك تكلموا بها وعلى هذا يجوز التكلم بها في الإسـلام وأن كان فيهـا ذكر الـروع الذي هو محال في حق الباري ولكن المقصود هو ذكر جاز النـطق بها في هذا الموطن) . اللهم إنا لا نريد إلا خيراً ثم هدم من ناحية الركنين

فتربص الناس تلك الليلة وقالوا : ننظر فإن أصيب لم نهدم منها شيئاً ورددناها كما كانت وإن لم يصبه شيء فقد رضى الله عنه صنعنا فهدمنا فأصبح الوليد من ليلته غادياً على عمله فهدم وهـدم الناس معـه حتى إذا انتهى الهدم بهم إلى الأساس أساس أبيهم إبراهيم نـظروا فإذا قـواعد البيت كأسنمة الإبل كما يروي البخاري وكانت القبائل من قريش تجمـع الحجارة لبنائها ، كل قبيلة تجمع على حدة حتى إذا أنتهوا إلى موضع الحجر تنازعوا أيهم يضعه وتداعوا للقتال، وتحالف بنو عبد الدار وبنو عدي على الموت ثم اجتمعوا وتشاوروا فاتفقوا على أن يحكمـوا أول داخل من باب المسجد فدخـل محمد بن عبـد الله فقالـوا جميعاً هـذا الأمين وبذلك كانوا يسمونه فتراضوا به وحكموه ، فقال ﷺ : « هلمُّوا إلي ثوبا » فأتى به فأخذ الحجر الأسود فوضعه فيه ثم قال : « لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم أرفعوه جميعاً » ففعلوا فلما بلغوا به مـوضعه وضعه محمد بيده ثم بنى عليه ، وبهذا التصرف الحكيم انتهت الفتنة التي أوشكت أن تشب نارها بين القبائل العربية الحـريصة على الـظفر بنصيب في شرف إقامة البيت العتيق .

الكعبة المشرفة بعد الإسلام

أنبثق نور الإسلام وأعتنقه بعض أهل مكة الذين كانوا يستخفون بصلاتهم عن المشركين في دورهم أو في شعـاب مكة حتى لا يصبهم أذى المشركين ، ولم يصل أحد منهم حول الكعبة المشرفة إلا قلة نادرة منهم ، وكان ذلك قبل الهجرة . . وعندما أذن لهم بالهجرة هـاجر من مكة من أستطاع الهجرة إلى الحبشة ، ومن بقي في مكة هاجر من بعد مـع رسول الله ﷺ إلى المـدينة المنـورة فيمـا عـدا من حبس منهم ،

وبذلك خلت مكة المكرمة من المسلمين . .

وبعد نصر الله وفتح مكة عاد المسلمون وصاروا يقيمون صلواتهم حول الكعبة علانية جهاراً . . غير أن قلة سكان مكة وقت ذاك لم تدع حاجة إلى توسعة المسجد الحرام ، فقد كان مدار الطواف واسعاً يستوعب المسلمين المقيمين بمكة وغيرهم . . ومن هنا . . لم تكن هناك حاجة لتوسعة المسجد وأحداث زيادة في رقعته في العصر النبوي ، وخلال خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، كان مسمى المسجد الحرام يطلق على مدار الطواف في زمن النبي ﷺ وخلافة الصديق رضي الله عنه . . فلما كانت خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كثر سكان مكة ، وأزدحم المسجد الخرام بالمصلين ، وحدث أن أبلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كثر سكان مكة ، وأزدحم المسجد الحرام بالمصلين ، وحدث أن أبلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو بالمدينة بنبأ السيل الذي أنحدر من وادي مكة إلى ساحة المسجد الحرام ، فركب رضي الله عنه من ساعته فزعاً إلى مكة ودخلها بعمرة في شهر رمضان عام ١٧ هـ، وبعذ إصلاح ما أعطبه السيل رأى عمر كثرة الناس ، وأزدحام المصلين في المسجد الحرام ، الذي هو عبارة عن مدار الطواف ، فأمر بشراء دور من تلك الدور الملاصقة للمسجد ، وهدمها وأدخل أرضها إلى المطاف ، وبذلك أتسع المسجد لأول مرة عمل كان عليه ، وبنى عمر حائطاً حول المسجد ، وكان أرتفاعه دون القامة ، ووضعت عليه المصابيح ، فكان رضي الله عنه أول من أحاط المسجد بجدار ، وجعل له أبواباً ، كما كانت بين الدور قبل أن تهدم . ثم بعد أن انتهى رضي الله عنه من عمارة المسجد الحرام ، حول مجرى السيل الذي أعتاد دخول المسجد الحرام ،

وذلك بإقامة سد أمام هذا المجرى بأعلى مكة .

وفي خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه أزداد عدد سكان مكة المكرمة ، وضاق المسجد الحرام بالمصلين ، فأشترى عثمان رضي الله عنه عدداً من الدور التي حول المسجد وهدمها كما فعل الخليفة عمر رضي الله عنه ، وضم أرضها إلى المسجد توسعة له ، وكان ذلك عام ٢٦ هـ عندما اعتمر عثمان رضي الله عنه من المدينة وأتى مكة ليلاً وطاف وسعى ، ثم أمر ببدء توسيع الحرم وجعل له أروقة ، فكان هو أول من أتخذ الأروقة فيه ، حيث كان قبل ذلك عبارة عن متسع فسيح له رواق ولا سقف يظلل المصلين ، وكانت هذه هي الزيادة الثانية .

وقام عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما بتعمير المسجد الحرام بعد أن أنتهى من عمارة الكعبة المشرفة ، وزاد فيه زيادة كبيرة من الجهات الشرقية ، والجنوبية والشمالية ، وسقف المسجد ، وجعل فيه أعمدة من الرخام ، وقد بلغت مساحة المسجد في عهده (٣٢٤٠٠) ذراع مربع ، وكان ذلك عام ٦٥ هـ ، وتعتبر زيادة ابن الزبير الزيادة الثالثة . وفي بناء عبد الله بن الزبير للكعبة وعمارة المسجد يروي مسلم في صحيحه أنه لما أحترق البيت في زمن يزيد بن معاوية حين غزاه أهل الشام تركه الزبير محترقاً حتى قدم الناس الموسم يريد بذلك أن يجرئهم ويحزبهم على أهل الشام فلما صدر الحجيج قال ابن الزبير لمن حوله (يا أيها الناس أشيروا على في الكعبة أنقضها ثم أبني بناءها أو أصلح ما وهى منها ؟ فقال ابن عباس أرى أن نصلح ما وهى منها وندع بيتاً أسلم الناس عليه وأحجاراً أسلم الناس عليها وبعث عليهما النبي ﷺ فقال ابن الزبير : (لو كان أحدكم احترق بيته ما حتى يجدد فكيف ببيت ربكم ؟ إني مستخير ربي ثلاثاً ثم عازم على أمري فلما

مضت الثلاث أجمع رأيه على أن ينقضها فتحاماه الناس أن ينزل بأول من يصعد أمر من السماء حتى صعده رجل فألقى منه حجارة فلما لم يره الناس أصابه شيء تتابعوا فنقضوه حتى بلغوا به الأرض فجعل ابن الزبير أعمدة فستر عليها الستور حتى أرتفع بناؤه (وقال ابن الزبير : أني سمعت عائشة تقول قال النبي ﷺ : (**لولا الناس حديث عهدهم بكفر وليس عندي من النفقة ما يقويني على بنائه لكنت أدخلت فيه من الحجر خمسة أذرع ولجعلت لها يعني الكعبة باباً يدخل الناس منه وباباً يخرجون منه**) قال ابن الزبير : فأنا اليوم أجد ما أنفق ولست أخاف الناس فزاد فيه خمسة أذرع من الحجر حتى أبدى أساساً نظر الناس إليه فبنى عليه البناء وكان طول الكعبة ثمانية عشر ذراعاً فلما زاد فيه أستقصره فزاد في طوله عشرة أذرع وجعل له بابين أحدهما يدخل منه والآخر يخرج منه وكان بناؤه هذا سنة خمس وستين هجرية .

أما عبد الملك بن مروان فقد أمر بعمارة المسجد الحرام ولم يزد فيه شيئاً ، غير أنه رفع جداره وسقفه بالساج ، وجعل على رأس كل عمود من أعمدته خمسين مثقالاً من الذهب . فكانت عمارته منحصرة في تجديد البناء ورفع الجدار ، وتسقيفه بالسياج المعروف بأنه من أفخر وأقوى أنواع الخشب ، وزينه بالذهب الذي جعله على رؤوس الأعمدة . ولم يزد فيه شيئاً عما كان عليه أيام عبد الله بن الزبير ، وكان ذلك عام ٧٥ هـ. وجاءت عمارة عبد الملك للمسجد الحرام نتيجة تهدم بعضه بسبب ضربه بحجارة المنجنيق التي رماه بها الحجاج بن يوسف الثقفي حال حصاره لعبد الله بن الزبير عندما أعتصم بالمسجد الحرام ، وكانت هذه العمارة بعد عمارة الحجاج للكعبة المشرفة بسنة . فإن عبد الملك بن مروان كان قد أرسل الحجاج لحصار مكة فرمى على

المسجد بالمنجنيقات إلى أن تصدعت جدران الكعبة ولما ظفر بأبن الزبير شاور عبد الملك فيما بناه وزاده في البيت فأمره بهدمه ورد البناء على قواعد قريش فهدم الحجاج منها ستة أذرع وشبراً مكان الحجر وبناها على أساس قريش وسد الباب الغربي وما تحت عتبة بابها اليوم من الباب الشرقي وترك سائرها لم يغير منه شيئاً فكان البناء الذي فيه اليوم بناء ابن الزبير وبناء الحجاج في الحائط صبلة ظاهرة للعيان ولحمه ظاهر بين البناءين والبناء متميز عن البناء بمقدار أصبع شبه الصدع وقد لحم ، ولما انتهى الأمر إلى الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور أراد أن يبينيها على ما بناها ابن الزبير وشاور في ذلك . فقال مالك بن أنس : أنشدك الله يا أمير المؤمنين ألا تركت هذا البيت وحتى لا تجعله ملعبة للملوك بعدك لا يشاء أحد منهم أن يغيره فتذهب هيبته من قلوب الناس ، قال : فأنصرف يومئذ أبو جعفر عن عزمه من هدمه وإقامته كما كان عليه في عهد ابن الزبير وكان مالك قد استشعر أن عبد الملك هدم ما بنى ابن الزبير عن هوى سياسي وليس عن حافز ديني وأن أبا جعفر المنصور يريد هدم الكعبة أيضاً عن هوى سياسي وليس عن حافز ديني ولهذا ناشده الله ألا يفعل ، ثم أن مساحة البيت أعني المسجد كانت فضاءاً للطائفين ولم يكن عليه جدار أيام النبي ﷺ وأبي بكر من بعده ثم كثر الناس فأشترى عمر رضي الله عنه دوراً هدمها وزادها في المسجد وأدار عليها جداراً (سوراً) دون القامة وفعل مثل ذلك عثمان ثم ابن الزبير ثم الوليد بن عبد الملك وبناه بعمد الرخام ثم زاد فيه المنصور والمهدي من بعده ووقفت الزيادة وأستقرت على ذلك . أما الزيادة الرابعة : فكانت أثناء خلافة الوليد بن عبد الملك ابن مروان الأموي الذي أمر بتوسيع المسجد الحرام ، وتعميره عمارة متينة

محكمة ، وهو أول من أتى بالأعمدة الرخام من مصر والشام ، ونقلهـا إلى مكة وأضافها إلى الأعمدة السابقة ، وجعل على رؤوسها صفـائح الـذهب ، وزخرف عقـودهـا بالفسيفسـاء ، وجعـل لسـاحـة المسجـد سرادقات على الحصا ليستظل بها المصلون من حر الظهيرة . وكـانت توسعة الوليد عام ٩١ هـ عبارة عن إنشاء رواق جديد واحد يدور حول المسجد الحرام والكعبة المشرفة .

ولما كانت خلافة أبي جعفر المنصور العباسي أمر عـامله على مكة بزيادة توسيع المسجد الحرام ، وكانت هذه الزيادة الخامسة ، فأمر بشراء الدور الواقعة في الجهة الشمالية والغربيـة وضمت أرضهما إلى المسجد الحرام . كما أمر المنصـور ببناء منـارة في نهايـة زيادتـه عند الركن لغربي من الجـانب الشمالي وتقـدر زيادتـه ضعف ما كـان عليه المسجـد قبل ذلـك ، وزخرفـة بالفسيفسـاء والـذهب وزينـه بـأنـواع النقوش ، وألبس حجر إسمـاعيل بـالرخـام ، وقد دام العمـل في هذه التوسعة ثلاثة أعوام ابتداء من محرم عام ١٣٧ هـ وانتهى في ذي الحجة عام ١٤٠ هـ .

وكانت الزيادة السادسة : في زمن الخليفة محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور العباسي تعادل كل الزيادات الخمس السابقة ، ففي عام ١٦٠ هـ حج الخليفة المهدي وحمل معه أموالاً عظيمة اشترى منها جميع ما كان بين المسجد الحرام والمسعى من الدور في الجانب الشرقي ، وكذلك أشترى الدور الواقعة في الجهة الغربية ، كما زاد من الجـانب الشمـالي . ثم لما حـج الخليفة المهـدي للمرة الثـانية عـام ١٦٤ هـ وشاهد الكعبة المشرفة لاحظ أنها بعد تلك السعة قد صارت إلى الجهة

الجنوبية لأن المسجد اتسع من الجهة الشرقية والشمالية والغربية ولم يتسع من الجهة الجنوبية ، فأمر الخليفة بضرورة تربيع المسجد الحرام وتوسيعه من الجهة الجنوبية مهما بلغت التكاليف ، فقام المهندسون بتحقيق رغبة الخليفة ، وتم تربيع المسجد الحرام وانتصفت الكعبة فيه ولم يتم ذلك إلاَّ في زمن الخليفة الهادي ابن محمد المهدي . لأن المهدي كان قد توفي قبل استكمال التوسعة الجنوبية .

وقد زيد في المسجد الحرام بعد عمارة الخليفة محمد المهدي العباسي التي تقدم بيانها زيادتان هما السابعة والثامنة ، وقد قام بهما المقتدر الله العباسي وهاتان الزيادتان خارجتان عن تربيع المسجد الحرام ، . إحداهما: في الجهة الشمالية ، وهي المعروفة في العصر الحاضر . برحبة (باب الزيادة) . وثانيتهما : في الجهة الغربية وتسمى أيضاً برحبة (باب إبراهيم) وقد أجمع المؤرخون على أن الزيادة الأولى التي في الجهة الشمالية كانت موضع (دار الندوة) التي بناها قصي بن كلاب وجعلها مجلساً للشورى ، وبقيت كذلك حتى جاء الإسلام وكان بابها مما يلي المسجد الحرام . أما زيادة (باب إبراهيم) فقد كان هناك بابان قبل الزيادة ، باب متصل بأروقة المسجد الحرام يقال له (باب الخياطين) وبقربه باب ثان يقال له (باب بني جمح) وخارج هذين البابين ساحة بين دارين لزبيدة زوجة هارون الرشيد ، وقد أدخلت هذه الساحة والداران إلى المسجد الحرام وأبطل البابان (باب الخياطين وباب بني جمح) ودخلا في المسجد الحرام ، وجعل باب إبراهيم عوضاً عنهما . هذا ما بلغت إليه زيادة المسجد الحرام من يوم ابتداء بزيادة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى زيادة المقتدر بالله العباسي ، وكل ما وقع بعد ذلك في المسجد الحرام لم يخرج عن

التعمير والإصلاح والترميم وما شابه ذلك ، ولم يزد فيه شيء لا في طوله ولا في عرضه مثلما حدث من تجديد عمارة الكعبة على يد السلطان مراد خان من سلاطين آل عثمان في سنة ٩٨٢ هـ . ولهذا التجديد قصة خلاصتها : أن مطراً عظيماً ومعه برد استمر مدة طويلة حتى نشأ عنه سيل عظيم دخل المسجد الحرام وملأ معظم أرجائه وأقتحم الكعبة المشرفة من بابها حتى وصل إلى نصف جدارها فسقط الجدار الشامي منها وبعض الجدار الشرقي والغربي وسقطت درجة السطح فضج الناس وملأ الذعر قلوبهم فسارع السلطان إلى عمارة الكعبة على هذه الصورة حتى اتخذ الحرم الجديد كله صورته الراهنة التي جرت على يد الأسرة السعودية في السنوات الأخيرة . والذين أكرمهم الله فيسر لهم سبل أداء فريضة الحج قد رؤوا بلا شك صورة إصلاح وتعمير في المسجد لم يكن من السهل تحقيقها لولا ما وفق الله تعالى له وهدى إليه . فيتخلص من كل ما تقدم وغيره (أن الكعبة المعظمة قد بنيت إحدى عشر مرة) : الملائكة ، ثم آدم ثم شيث ، ثم إبراهيم ، ثم العمالقة ، ثم جرهم ، ثم قصى ، ثم قريش ، ثم عبد الله بن الزبير ثم الحجاج .

ثم السلطان مراد بن السلطان أحمد من سلاطين آل عثمان وذلك سنة ١٥٤٠م . وقد نظم بعضهم أسماء هؤلاء فقال :

بنى الكعبة الغراء عشر ذكرتهم	ورتبتهم حسب الذي أخبر الثقه
ملائكة الرحمن آدم ابنه	كذلك خليل الله ثم العمالقه
وجرهم يتلوهم قصى قريشهم	كذا ابن الزبير ثم حجاج لاحقه
ومن بعدهم من آل عثمان قد بنى	مراد حماه الله من كل طارقه

إلى أن جاء عهد آل سعود حيث توسعة المسجد الحرام توسعة عظيمة بإضافة دور علوي للمطاف والسعي ورصفت أرضهما بالرخام ، وشيدت سبع منارات رائعة التصميم حول المسجد ، كما جددت جميع الحوائط والأروقة والأعمدة والأسقف والنوافذ ، وأعيد تصميم نقوشها وزخارفها ، وكيست حوائط المسجد الحرام الداخلية والخارجية بأفخم أنواع الرخام ، وزيد في عدد الأروقة حتى بلغت مساحة الحرم ١٦٠١٦٨ متراً مربعاً ، وأصبح يتسع لنصف مليون مصل ، ويحيط بالحرم ساحات أربع خارجية تتسع لوقوف أربعة آلاف سيارة . وأيا ما كان فإن البيت الحرام هو أول بيت وضع للناس في الأرض قال تعالى : ﴿ **إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين** ﴾ . وروى البخاري ومسلم بسند كل منهما عن أبي ذر رضي الله عنه قال : (قلت : يا رسول الله أول مسجد وضع في الأرض لعبادة الله عز وجل ؟ أم هو أول بيت في الأرض مطلقاً ؟ بالأول قال أكثر المفسرين وبالتالي قالت طائفة منهم ، ومما يشهد للاكثرين أولاً : (ما أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم عن علي رضي الله عنه من قوله تعالى) ﴿ **إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً** ﴾ قال : ﴿ **كانت البيوت قبله ولكنه كان أول بيت وضع لعبادة الله** ﴾ وثانياً : سبب نزول هذه الآية وقد ذكر الخازن فيه) أن اليهود قالوا للمسلمين : بيت المقدس قبلتنا أفضل من الكعبة وأقدم وهو مهجر الأنبياء وقبلتهم وأرض المحشر ، وقال : المسلمون بل الكعبة أفضل فأنزل الله هذه الآية ﴿ **ويؤخذ منه أن الآية الكريمة جاءت في معرض الرد على اليهود في تفضيلهم معبداً على معبد ، والله تعالى أعلى وأعلم** ﴾ .

الحكمة من أختيار المكان الذي هو فيه

(إن الحكمة في جعل الحج في هذا المكان المقدس ترجع إلى أسباب كثيرة منها الأسباب الآتية :

أولاً : إن المسلمين إذا حجوا تذكروا اباهم إبراهيم الخليل عليه السلام والذكرى تنفع المؤمنين إذا هو الذي بنى البيت الحرام وأذن في الناس بالحج .

ثانياً : إن هذه الأمكنة هي موطن النبي ﷺ وقريبة من مكة المشرفة التي ولد فيها المصطفى ﷺ .

ثالثاً : إنه المكان المطهر الذي ظهر فيه الدين الحنيف ومنه سطح نوره في أنحاء الأرض .

رابعاً : إنه المكان الذي استجاب الله فيه دعاء سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام كما جاء في الآية الشريفة حكاية عنه ﴿ **ربنا أني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فأجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وأرزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون** ﴾ فأستجاب الله دعاءه وعمرت مكة وما جاورها من البلاد ورزقهم من الثمرات الطيبة .

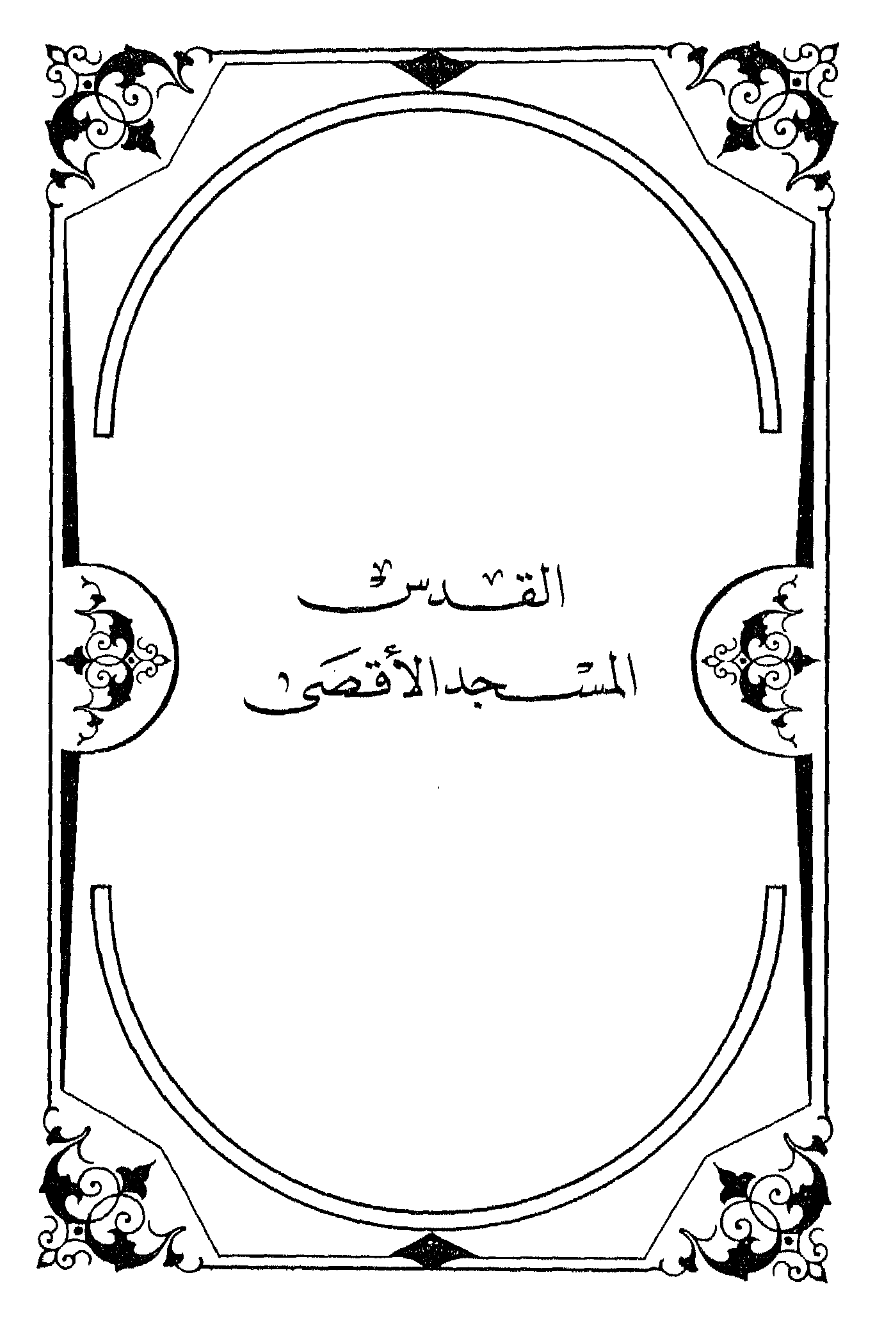
خامساً : إن تلك الأماكن الطاهرة المقدسة هي في شبه جزيرة العرب وهي خالية من كل إنسان من غير المسلمين عملاً بالحديث الشريف (**لا يجتمع دينان في جزيرة العرب**) فالمسلمون في حجهم واجتماعهم وذهابهم وأيابهم لا يجدون من يضايقهم من أهل الأديان الأخرى وبذلك يتمكنون من تدبير

أمورهم سواء أكانت من أمور الدنيا أم من أمور الدين .

بيان فضل البيت والصلاة فيه

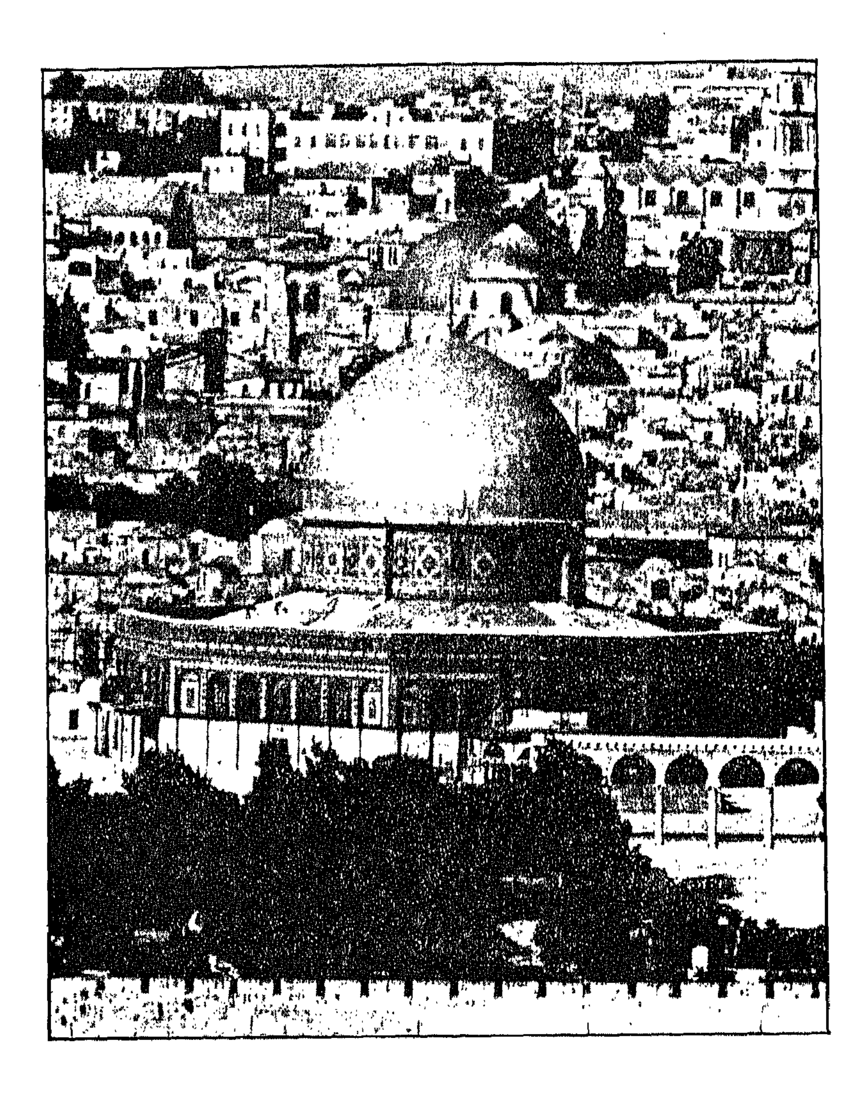
أما فضله فعظيم لأنه أول بيت وضع للناس يؤمونه من جميع الأقطار لأظهار شعائر دينهم وتوحيد الخالق وتمجيده ، كما قال الله تعالى : ﴿ كان آمناً ﴾ فيعلم من هذه الآية الشريفة أن فضله إنما هو لكونه أول بيت وضع للناس كما قلنا ولكونه فيه مقام إبراهيم الخليل عليه السلام وللمزية التي أختصه الله بها ، وأيضاً لكونه من دخله كان آمناً على نفسه حتى الطيور في أوكارها ، وكان العربي يقتل ويدخل هذا البيت المشرف ويضع في عنقه خصلة من الصوف حتى إذا رآه من يطالبه بثأره تذكر أنه في البيت المكرم فلا يصيبه بأذى وكثيراً ما قصده الجبابرة بالسوء فأهلكهم الله تعالى وحماه منهم بحماه كأصحاب الفيل الذين أرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل (أي من طين) فجعلهم كعصف مأكول . وقد زاده الله فضلاً بأن جعله المكان الذي يوجه المسلمون وجوههم شطره في صلاتهم .

وأما الصلاة فيه فينطق بفضلها وسمو قدرها بعض الأحاديث الصحيحة ومنها ما روى (عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال) قال رسول الله ﷺ : **(الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة وفي مسجدي بألف صلاة والصلاة في بيت المقدس بخمسمائة صلاة)** رواه الطبراني في الكبير وابن خزيمة في صحيحه .



القدس
المسجد الأقصى

القدس





المسجد الأقصى الشريف[٧]

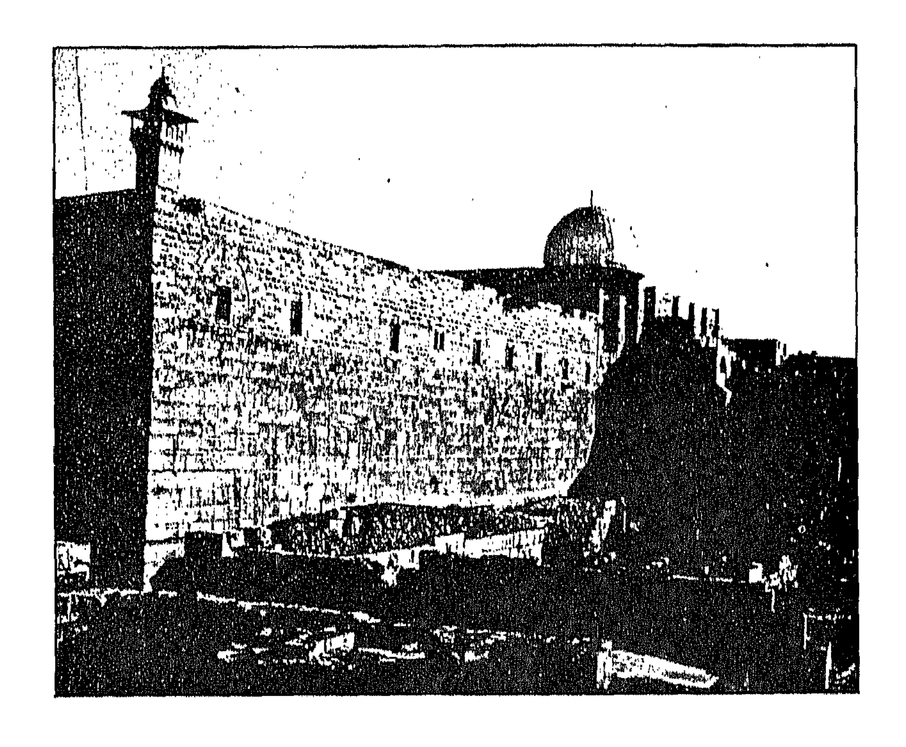
احتل الصليبيون القدس : وعبثوا بالمسجد الأقصى والأرض المقدسة حوالي مائتي عام . ورُدُّوا على أعقابهم بعد أن جدَّد صلاح الدين رحمه الله في الأمة الإنتماء للإسلام والإلتزام بشرعه .

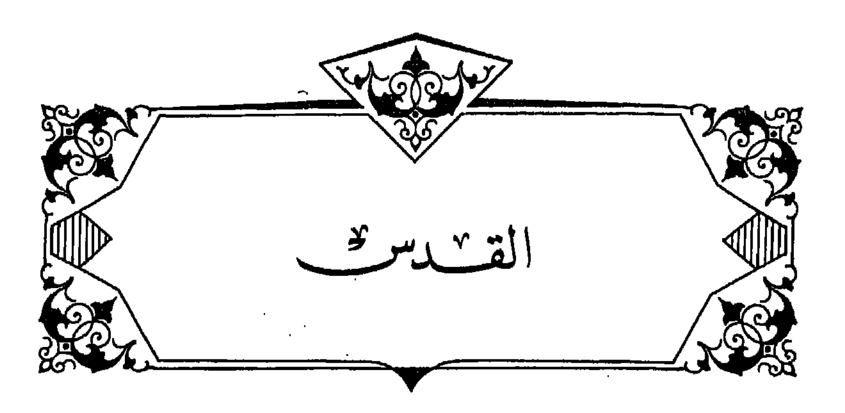
وكان الإنطلاق إلى تحرير المسجد الأقصى في أرض النبوات من وحي موالاة المسجد الحرام الذي بناه أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام على التوحيد .

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الله

ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم





القدس بناها العرب منذ أن وضع الملك الكنعاني العربي « ملكي صادق » اللبنة الأولى لإنشائها . وفتحها للإسلام الخليفة عمر بن الخطاب في السنة الخامسة عشرة من الهجرة حتى كانت الهجمة الصليبية البشعة التي ينتج عنها سقوط المسجد الأقصى في أيديهم يوم الثالث والعشرين من شعبان سنة اثنين وتسعين وأربعمائة للهجرة .

غير أنها لم تلبث أن عادت إلى العرب بعد أن حررها المجاهد الناصر صلاح الدين الأيوبي يوم السابع والعشرين من رجب عام ثلاثة وثمانين وخمسمائة من الهجرة . . .

فالقدس أرض النبوات وملتقى الرسالات وفيها أولى القبلتين وثالث الحرمين المسجد الأقصى ثالث المساجد التي تشد إليها الرحال بعد المسجد الحرام بمكة المكرمة ، ومسجد الرسول ﷺ بالمدينة المنورة فبالقدس مسجد قبة الصخرة « أقدم بناء أثرى إسلامي خارج الجزيرة العربية ، والذي بدأ منه معراج رسول الله عليه الصلاة والسلام بعد أن أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وعلى ثراه الطاهر صلى رسول الله عليه الصلاة والسلام إماماً بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم . .

ويمضي التاريخ دورته . . وتدور على القدس الطاهرة الدوائر فتتعرض لأشرس وأفظع إحتلال من شذاذ الآفاق الصهيونيين ، منذ إبتلى العرب والمسلمون بل والإنسانية بإنشاء كيان أعداء الله ، وأعداء الإنسانية . . الطغاة البغاة بني صهيون عام ١٩٤٨ . . في غفلة من العرب والمسلمين الذين فتتهم وأضعفهم التنافر والتدابر والتقاطع فخلت الساحة منهم ووقعت القدس الجريحة لقمة سائغة للإسرائيليين يعبثون الفساد ، ويبكون الأكباد . . ويشتتون بأحفاد الأمجاد . .

ولقد ضاع القدس بعد قرار التقسيم الذي أصدرته الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٤٧ ، وضاع نصفها الآخر خلال العدوان الإسرائيلي في يونيو ١٩٦٧ ، ومنذ ذاك والمؤامرات تتلو المؤامرات والإعتداءات تتبعها الإعتداءات من المحور الإستعماري الصهيوني لمحو الأرض والبشز وفي رحلة مع التاريخ يتجلى تاريخ القدس . . والمسجد الأقصى .

القدس أو مدينة (إيلياء) حسب ما ورد في العهدة العمرية وهي أرض الأنبياء والمرسلين وموضع ظهور دعوتهم إلى التوحيد . بذلك إعتبرت مدينة مقدسة منذ القدم وزادها تقديساً إسراء رسولنا الكريم إليها ومعراجه إلى السماء منها . . فهي مدينة مباركة بارك الله حولها وهي القرية التي عنتها الآيات القرآنية في قوله تعالى : ﴿ **وإذ قلنا أدخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين** ﴾ . . ﴿ **يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم**

فتنقلبوا خاسرين ﴾ . . ﴿ ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين ﴾ .

لقد كانت تسمى بأرض « إيلياء » حتى زمن الفتح الإسلامي في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث سميت بالقدس ، وفي عهد الأتراك العثمانيين سميت بالقدس الشريف . .

فتحها المسلمون في السنة السابعة للهجرة (٦٣٦) ميلادية وتسلم مفاتيحها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . ومنذ ذلك الحين والقدس الشريف تحت أمرة العرب والمسلمين سواء في عهد الأمويين أو العباسيين أو الأتراك السلجوقيين أو المماليك أو العثمانيين باستثناء فترة الحروب الصليبية التي إنتهت بانتصار صلاح الدين الأيوبي عليهم في موقعة حطين ودخوله القدس يوم ٢٧ رجب عام ٥٨٢ هـ (١٨٧ م) .

في البيداء

والقدس يعود تاريخها إلى العهد الكنعاني العربي « فالكنعانيون هم الذين بنوها عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد . . فالذين وضعوا الأساس هم الكنعانيون ـ أجداد العرب ـ الذين نزحوا من شبه الجزيرة العربية بإتجاه فلسطين حوالي سنة ٤٠٠٠ قبل الميلاد .

ولقد إستقر « اليبوسيون » وهم فرع من القبائل الكنعانية في المنطقة الجبلية الوسطى وشيدوا سنة ٣٠٠٠ قبل الميلاد مدينتهم « يبوسيه » على جزء من الموقع الذي قامت عليه مدينة القدس فيما بعد .

اليبوسيون

واليبوسيون من قبيلة « يبوس » التي إنحدرت من الكنعانيين ، والكنعانيون هم فرع من الساميين الذين نزحوا من الجزيرة العربية ، وعلى ذلك تدل شهادة ميلاد المدينة على أنها كنعانية الأصل ، وإن يبوس هو الاسم الكنعاني العربي لمدينة القدس . .

غير أنه كما سيأتي فيما بعد ، أن الصراعات ستحتدم والحروب ستشتعل ، بين هؤلاء السكان الأصليين أصحاب المدينة الحقيقيين ، وبين العبرانيين اليهود الذين من طبيعتهم العدوان والذين أرادوا الإستيلاء على المدينة التي قام أصحابها بتحصينها بسور عظيم لصد غارات « يوشع » العبراني اليهودي الذي قام بشن غارات وحروب شرسة ضد أصحاب البلاد الأصليين كما سيأتي ذكر ذلك عند ذكر الإعتداءات المتوالية على المدينة لإغتصابها .

وقد جاء ذكر اليبوسيين في سفر التكوين (الإصحاح الخامس عشر : ١٨) .

وقد جاء في بعض التقاليد اليهودية أن الملك الكنعاني العربي « ملكي صادق » ملك شاليم « أورشليم » في القرن التاسع عشر قبل الميلاد كان محافظاً على سنة الله القديمة وسط شعب وثنى . وقيل إنه يسكن وقومه في الكهوف من قبل ، وكان أول من اختط « أورشليم » وبناها . وكان محباً للسلام حتى أطلق عليه « ملك السلام » ومن هنا جاء اسم المدينة « شالم ، وشليم ، وسالم » أي مدينة السلام .

ومن ملوك المدينة الآخرين ، الملك « عبد خيبا » وهو الذي ورد

اسمه في وثائق تل العمارنة ، فقد بعث بست رسائل إلى فرعون مصر « امنحوتب الرابع » أحد ملوك السلالة الثامنة عشرة وهو المسمى أيضاً بـ « اخناتون » وقد إشتهر هذا الملك العظيم الذي حكم ما بين عامي ١٣٧٥ ، ١٣٥٨ قبل الميلاد بدعوته إلى عقيدة التوحيد .

طلب الملك « عبد خيبا » العون من مصر

وقد طلب الملك « عبد خيبا » في رسائله العون من مصر لصد هجمات أهل البادية (العيبرو) أو (الخيبرو) أو (الهيبرو) و (العبريون أهل البادية الشمالية الذين جاءت منهم كلمة (عبري) التي شاع إستعمالها خطأً للدلالة على اليهود في العصور التالية .

وكان أخر ملوك أورشليم عند هجوم الموسيين بقيادة « يشوع » على المدينة في القرن الثالث عشر قبل الميلاد « أدوين صادق » وقد ورد ذكر هذا الملك في التوراة في جملة الملوك الخمسة الذين إعتبروا من العموريين . وهم الذين سيأتي ذكرهم .

وجاء في سفر (يشوع ١٠ : ٥٠١) « فلما سمع أدوني صادق ملك أورشليم أن يشوع قد أخذ عاي وحزمها وكما فعل بأريحا وملكها فعل بعاي وملكها وإن سكان جبعون قد صالحوا إسرائيل وكانوا في وسطهم فخاف جداً لأن جبعون مدينة عظيمة كإحدى المدن الملكية وهي كل رجالها جبابرة فأرسل أدوني صادق ملك أورشليم إلى هوهام ملك جبرون وفرام ملك يرموث ويافيع ملك لخيش ودبير ملك عجلون يقول : إصعدوا إلي واعينوني فنضرب جبعون لأنها صالحت يشوع وبني إسرائيل فاجتمع ملوك الأموريين .

اليبوسيون يتمسكون بأرضهم

وتبعاً لما تقوله التوراة فإن هؤلاء الخمسة استعدوا لمقاومة « يشوع » لكنهم وقعوا في أسره فأعدمهم « وعلقهم يوماً كاملاً على الخشب » . ثم إتحد بقية « اليبوسيون » مع « يابين » ، ملك حاصور ، ضد « يشوع » إلا أنهم هزموا أيضاً وتشتت شملهم . ومع ذلك لم يتم الإستيلاء على المدينة إلا بعد موت « يشوع » ، حيث حاصرها اليبوسيون وأخذوها وأشعلوا فيها النار ودمروها لكنهم لم يستطيعوا الاستيلاء على القسم المحصن الذي يعرف باسم «حصن صهيون» فعاد اليبوسيون إلى أرضهم وبقي الحصن بيدهم مدة عهد القضاة وعهد « الملك شاؤل » حتى تبوأ « داود » عليه السلام العرش فاحتل الحصن « يوآب » قائد جيشه ، وباتت القدس تعرف باسم « مدينة داود » . وتقول التوراة أن بني « بنيامين » الذين صارت أورشليم على تخومهم لم يطردوا « اليبوسيين » فسكن اليبوسيون مع بني بنيامين في أورشليم إلى هذا اليوم . ولعل المقصود من « ألى هذا اليوم » . . إلى زمن كتابة التوراة قبل السبى البابلي على الأرجح .

لم يتمكن اليهود من طرد « اليبوسيين »

وتعترف التوراة ، في الوقت نفسه ، بأن اليهود لم يستطيعوا طرد اليبوسيين من أراضيهم فسكنوا معهم . ومما يؤيد ذلك أنه عندما أراد « الملك سليمان » إنشاء الهيكل في أورشليم قام بشراء الأرض التي إختارها لذلك من أصحابها اليبوسيين . وهذا يدل على أن هؤلاء احتفظوا بأملاكهم وبحقوقهم الشرعية عليها . والمثير هنا أنه كانت « لليبوسيين » قلعة حصينة على الرابية الجنوبية الشرقية من أورشليم

كانوا يطلقون عليها اسم « صهيون » . وهذه الكلمة وردت في الكتاب المقدس حوالي ٢٠٠ مرة ، وهي تشير في الأصل إلى كونها حصن اليبوسيين . وقد سميت تلك القلعة بـ « حصن صهيون » . وصار هذا الحصن يعرف في عهد المسيح (عليه السلام) أيضاً باسم « جبل صهيون » . ويوجد الآن في جوار المدينة وادٍ يسمى بـ « وادي صهيون » ، كما يوجد موضع يقع في جنوب غربي المدينة خارج السور الحالي يسمى « جبل صهيون » . وهذه التسمية حديثة لا تمثل موضع جبل صهيون الأصلي الذي كان يقع في القسم الجنوبي الشرقي من المدينة .

خلافات وإنقسام بين « الموسيين »

وتحدثنا التوراة عن الخلافات التي ظهرت بين « الموسيين » بعد موت سليمان (عليه السلام) سنة ٩٣١ قبل الميلاد وقيام دولتين هزيلتين :

الأولى : في الشمال باسم مملكة إسرائيل وعاصمتها السامرة (سبسطية) .

والأخرى : في الجنوب باسم يهوذا وعاصمتها أورشليم .

وقد تولى الحكم في الأولى يربعام بن نباط ، وفي الثانية ، رحبعام بن سليمان . وكانت الحرب سجالاً بينهما . لكنهما تعرضتا للغزو الخارجي أيضاً ، فكان أول من غزا مملكة يهوذا « شيشنق » ملك مصر (٢٦ ق . م) . . « وأخذ خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك وأخذ كل شيء وأخذ جميع أتراس الذهب التي عملها سليمان » . وفي زمن « يهورام » ، ملك يهوذا الرابع (٨٤٨ ـ ٨٤٢ ق . م) إنفصل

بنو أدوم عن مملكة يهوذا ونصبوا على أنفسهم ملكاً . وفي زمنه أيضاً صعد الفلسطينيون والعرب الموجودون بجانب الكوشيين إلى يهوذا وافتتحوها ، ثم استولوا على كل الأموال الموجودة في بيت الملك وسبوا أبناءه وانسباءه أيضاً ولم يبق إلا أصغر بنيه . وفي زمن « يوآش » غزا الجيش الأرامي أورشليم وأهلك كل الرؤساء واستولى على جميع الخزائن وقدمها لحزائيل « ملك الأراميين » وفي عهد « امصيا » ملك يهوذا (٧٩٦ ـ ٧٦٧ ق . م) ، هجم « يهوآش » ، ملك إسرائيل على أورشليم فهدم سورها واستولى على كل الذهب والفضة الموجودة في بيت الرب وفي خزائن بيت الملك .

سبي اليهود وطردهم

وفي عهد إزدهار مملكة دمشق الارامية أصبحت كلتا المملكتين إسرائيل ويهوذا ، تحت سيطرتها وإذا تمكن شلمنصر الثالث (٨٥٩ ـ ٨٢٤ ق . م) من إخضاع إسرائيل ، فإن آشوريا آخر هو (تجلات بلاسر الثالث) إستولى على إسرائيل في زمن ملكها « فقح » (٧٣٩ ـ ٧٣١ ق . م) وسبى اليهود إلى إسرائيل . وأحل محلهم سكاناً من أقاليم أخرى تاركاً لخليفة « فقح » الملك « هوشع » مدينة السامرة . بقيت مملكة يهوذا التي قضي عليها نبوخذ نصر الثاني ، أعظم ملوك الدولة الكلدانية البابلية وذلك في حملتين ، الأولى سنة ٥٩٧ قبل الميلاد ، والثانية في سنة ٥٨٦ قبل الميلاد وتشير التوراة في هذا الصدد ، إلى أن الملك « يهوياقيم » ملك يهوذا (٦٠٨ ـ ٥٩٧ ق . م) تمرد على نبوخذ نصر على الرغم من تحذير النبي ارميا له ، وذلك بعد ما أظهر الطاعة والخضوع إلى العاهل الكلداني مدة ثلاث سنوات . ثم

تضيف التوراة أن نبوخذ نصر أوعز ، في بادىء الأمر ، إلى السوريين الآراميين والموآبيين والعمونيين) بأن يغزوا مملكة يهوذا حيث كانت كل هذه الدويلات من النيل إلى الفرات تحت قبضته . وفي سنة ٥٩٧ قبل الميلاد حاصر الملك بابلي أورشليم ، وأثناء هذا الحصار توفى « يهوياقيم » وخلفه إبنه « يهوياكين » الذي إضطر إلى الإستسلام ، فسبى نبوخذ نصر كل يهود أورشليم وكل الرؤساء وجميع جبابرة البأس (ونحن في عرضنا هذا نستخدم تعابير التوراة) عشرة آلاف مسبي وجميع الصناع والإقيان .

عادوا وتجمعوا في منطقة « أورشليم »

لكن قورش الأخميني «الفارسي الذي فتح بلاد بابل (٥٣٩ - ٥٣٨ ق . م) ما لبث أن إحتل فلسطين ومن ضمنها القدس . فسمح لمن أراد من أسرى « نبوخذ نصر » بالعودة إلى فلسطين ، كما أعاد إليهم كنوز الهيكل وأمر ببنائه على نفقة بيت الملك . فعاد فريق منهم يقدر عددهم بعشرين ألفاً (من أصل خمسين ألفاً) وباشروا إعادة بناء الهيكل ، لكنهم لم يتمكنوا من إكماله ، في حينه ، لأن « قورورش » لم يبعث لهم بالأموال التي وعدهم بها لكن « داريوس الأخميني » (٥٢٢ - ٤٨٥ ق . م) وفى بالعهد وتمت عملية البناء .

هؤلاء العائدون تجمعوا في منطقة أورشليم . وإذ تمتعوا خلال حكم الفرس ببعض الإمتيازات الخاصة بحرية ممارسة شعائرهم الدينية ، فإن وضعهم مع العهد الإغريقي بدأ يتأرجح ، فتارة يقعون تحت حكم البطالمة في مصر وطوراً تحت حكم السلوقيين في سوريا .

نهاية المرحلة الذهبية لليهود على يد الإسكندر الأكبر

والواقع أن الإسكندر المقدوني الذي دخل إلى القدس عام ٣٣٢ قبل الميلاد أنهى مرحلة ذهبية عاشها اليهود الذين رحبوا به في البداية، لكنهم ما لبثوا أن بدأوا يمارسون لعبتهم المعروفة ، فقد إستغلوا الخلاف المستحكم بين الفريقين اليونانيين الحاكمين في الشرق . كما أنهم راحوا يمارسون الحكم الكهنوتي الذاتي . لكنهم لاقوا الأمرين في عهد الملك السلوقي أنطيوخس الرابع (ابيفان) (١٧٥ - ١٦٤ ق . م) فقد دمر هذا الملك الهيكل واستولى على خزائنه ، وأرغم اليهود على نبذ اليهودية واعتناق الوثنية اليونانية . وهنا أخذ الصراع بين اليهودية والإغريقية يشتد يوماً بعد يوم حتى إندلعت ثورة المكابيين وقد أطلق على عصرهم الذي دام حوالي القرن وربع القرن (١٦٦ - ٣٧ ق . م) اسم العصر المكابي .

الحكم الروماني يطرد اليهود

وبعد تغلغل الرومان في الشرق وتغلبهم على السلوقيين في سورية ، أصبحت فلسطين تحت الحكم الروماني . وإذ حاول اليهود التمرد ، قام القائد الروماني بومبي سنة ٦٣ قبل الميلاد ، بتأديبهم واستولى على مدينة أورشليم .

تمرد اليهود والقضاء على تمردهم

لكن ما لبثوا أن قاموا بتمردهم الكبير عام ٦٦ م وبعد سلسلة من المعارك حصلت في عهد الإمبراطور نيرون وخليفته فسبسيان . سلمت

القيادة إلى تيتوس ، ابن الإمبراطور ، فسيطر على الموقف وتمكن من القضاء على التمرد ، ودخل أورشليم سنة ٧٠ م وقام بمذبحة كبيرة ، وخرب المدينة وأحرق هيكلها وذبح الكهنة ، وأزيل الهيكل من الوجود كلياً بحيث لم يعد يستطيع الناس الإهتداء إلى موضعه . وقد سيق الأحياء الباقون عبيداً فيما ذكر المسعودي أن عدد القتلى من اليهود والمسيحيين بلغ « ثلاثة آلاف » . وهكذا تم القضاء على الكيان الذاتي الديني لليهود ، ومن ضمن ذلك التنظيمات الإدارية الدينية التي كانت تتمثل بـ « السنهدرين » ، فساد الهدوء حوالي نصف قرن ، ثم إشتعلت نيران ثورة جديدة بقيادة « باركوخبا » أحد زعماء اليهود واعتصمت جماعة في المواقع الجبلية الحصينة وراحوا يشنون حرب عصابات .

الفرس يحتلون القدس

وظل اليهود على هذا الاعتصام لمدة ثلاث سنوات (١٣٢ - ١٣٥ م) إلى أن جرد الرومان عليهم حملة إجتاحت مواقعهم وأزالت قلاعهم وأحرقت قراهم وحول هادرين مدينة أورشليم إلى مستعمرة رومانية وبدل اسمها ليصبح « إيليا كبتولينا » وإيليا هو الاسم الأول لهادريان ، وقد أسكنت جالية رومانية ويونانية في أورشليم وأقيم مكان الهيكل معبد « لجوبيتر » وقدر عدد الذين قتلوا في هذه المعارك بـ ٥٨٠ ألفاً عدا من هلك جوعاً ومرضاً وحرقاً . وكانت هذه الضربة الأخيرة ، أن جاء القرن العشرون الميلادي .

اليهود لم يعيشوا في القدس إلا مراحل محدودة عاصيين

اليهود لم يعيشوا في القدس إذن إلا مراحل محدودة قياساً على

الشعوب الأخرى . والمعروف أنهم في عهد الإنقسام إنحرفوا عن ديانة موسى ومارسوا هم وملوكهم الوثنية . وبنوا المرتفعات لعبادة الأصنام في أورشليم نفسها ، وظلوا على هذا المنوال حوالي ٣٠٠ عام .

لم يعد لليهود وجود بعد إنتشار المسيحية

وقد لعبت القدس دوراً كبيراً في تاريخ المسيحية فقد كانت مركزها الرئيسي مع أن منطقة الجليل في شمالي فلسطين ، كانت المكان الأول الذي إنتشر فيه رسل المسيح والتي قضى فيها معظم أيامه . لكن المدينة لم تعرف اليهود بعد إنتشار المسيحية ، بشكل واسع ففي مطلع القرن السابع عشر إشتدت الخصومة بين « هرقل » و « كسرى ابرويز » وما لبث الفرس أن استولوا على دمشق ثم واصلوا زحفهم نحو القدس فاحتلوها وعملوا بأهلها قتلاً فيما إستمرت عمليات النهب ثلاثة أسابيع (٦١٥ م) ، لكن الفرس ما لبثوا أن سمحوا لسكان المدينة بتعمير الكنائس المهدمة وللأسرى بالعودة حتى إذا ما حل عام ٦٢٩ م ، إنتصر « هرقل » على الفرس واحتل القدس واحتفى بإعادة الصليب إليها . وكان الفرس قد أخذوه منها في ما أخذوا وظل الحكم البيزنطي في القدس إلى أن كان الفتح العربي والإسلامي للمدينة .

علامات عربية تؤكد الجذور العربية في فلسطين

اليبوسيون إذاً هم أول من وضع حجر الأساس لمدينة القدس في

عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد ولكن ثمة علامات عربية أخرى تؤكد الجذور العربية في فلسطين .

هجرة النبي إبراهيم عليه السلام إلى فلسطين

فحوالي عام ١٨٠٥ قبل الميلاد ، هاجر النبي إبراهيم (عليه السلام) ، الذي يرجح إنه (اموري) من العرب الذين اسسوا الدولة البابلية في العراق ، إلى بلاد الشام واستقر بعد فترة شكيم (نابلس) في فلسطين ، ثم ما لبث أن انتقل إلى بئر السبع وفي نحو عام ١٧٩٤ قبل الميلاد رزق إبراهيم ولده إسماعيل جد العرب العدنانية ، وهو الذي وصل بين فلسطين وبين النبي العربي (الذي ينتسب إلى العدنانيين) والمسلمين . إذ قام مع ابيه ببناء الكعبة المشرفة . وقد ورد اسم إبراهيم في ٢٧ سورة من سور القرآن الكريم .

المؤرخون الغربيون يتحدثون عن الجذور العربية في فلسطين

وحتى المؤرخين الغربيين وإن تفادوا الأشارة في العمق إلى الوجود العربي في فلسطين فقد تحدثوا عن القوافل التجارية العربية التي كانت تصل إليها من الجنوب الشرقي ومن الشرق . وكانت هذه القوافل تأتي باستمرار لتنقل إلى فلسطين متاجر البلاد النائية ، ولتحمل منها ما عندها من بضائع . وإذا تذكرنا أن الغسانيين العرب كانوا يقطنون المنطقة الممتدة من جنوبي شرق الأردن إلى دمشق ، وإن (الجابية) في الجولان كانت عاصمتهم وأنهم كانوا دائماً على اتصال

دائم مع سكان فلسطين ، لأدركنا مدى الترابط العضوي بين التاريخ الفلسطيني الخاص والتاريخ العربي الهام . وقبل أن نتعرض للفتح الإسلامي وما تلاه نشير إلى الإمبراطورية البيزنطية التي ورثت في الشرق الإمبراطورية الرومانية ، قسمت فلسطين إلى ثلاث ولايات هي : فلسطين الأولى ، وتشمل القدس والخليل ومرتفعاتهما والسهل الساحلي وفلسطين الثانية وتشمل الجليل والمدن العشر وعاصمتها بيسان وفلسطين الثالثة بلاد الإنباط والنقب .

عمر بن الخطاب يدخل القدس

وإذا كانت الدلائل تشير إلى أن فروعاً من الكنعانيين قد بقوا في فلسطين ولم ينزحوا فإن الفتح العربي (الثاني) بدأ في القرن السابع للميلاد ففي سنة ٦٣٣ ميلادية (١٢ هـ) توجهت ثلاث سرايا إلى ديار الشام وكانت إحدى هذه السرايا بقيادة عمرو بن العاص . فسلك بها طريق العقبة ـ إيلات الساحلي وقد وقع الصدام الأول في وادي عربة وكان يزيد ابن أبي سفيان قائد السرية الثانية هناك ، فخسر (سرجيوس) القائد البيزنطي المعركة وعاد إلى مركز قيادته في قيسارية وانتهى الأمر بأن قتل القائد البيزنطي قبل وصوله إلى المدينة . وتمكن (عمرو ويزيد) من إحتلال القسم الجنوبي من فلسطين (في العام التالي) وبعد ذلك بقليل وقعت معركة (أجنادين) التي فتحت أبواب فلسطين أمام الفاتحين وتمكن (شرحبيل بن حسنة) قائد السرية الثالثة من عبور غور الأردن واحتل عكة ، ولكن القدس وقيسارية ظلتا في أيدي البيزنطيين بعيد معركة اجنادين وقد التحم العرب والبيزنطيون في معركة اليرموك (١٥هـ ٦٣٦م) التي انتصر فيها العرب انتصاراً

ساحقاً . حاصر عمرو القدس وكان البطريك (صفرونيوس) هو المشرف على شؤون المدينة فاشترط ألا يسلمها إلا إلى الخليفة وكان عمر بن الخطاب قد جاء لتفقد الجبهة الشامية في الجابية بعد معركة اليرموك ، فلما عرف بمطلب البطريك ، ذهب إلى القدس ودخلها ، وكتب لأهلها (أمنهم فيه على أرواحهم وأموالهم) ويذكر المؤرخون تلك الواقعة الشهيرة عندما رفض الخليفة طلب البطريك الصلاة في كنيسة القيامة لا يأتي المسلمون من بعده ويقولون هنا صلى عمر ويتصرفون في المكان .

بناء مسجد الصخرة

الأنجاز اللافت الذي قام به الأمويون في مدينة القدس هو بناء مسجد الصخرة ، هو الأول هناك وقد شيده (عبد الملك بن مروان) (٧٢هـ ٦٩١م) . وهو يمثل أقدم بناء أثري إسلامي لا يزال قائماً . وقد عمد عبد الملك إلى استخدام المهندسين الأصليين والفنانين المدربين في مدارس بيزنطية . أما أبوابه البرونزية المزينة بصفائح مزخرفة فهي من أقدم ما بقي لنا من هذا النوع من الزخارف وقد ترك لنا عبد الملك على دائرة باطن القبة كتابة بالخط الكوفي هي أقدم ما بين أيدينا من الكتابة الإسلامية . بعد ذلك بقرن وربع القرن ، قام الخليفة (العباس المأمون بترميم هذا البناء ، ولم يتورع عن إزالة اسم « عبد الملك » ليضع اسمه مكانه. لكنه غفل عن تغيير التاريخ. وإلى شرقي القبة يقوم بناء صغير أنيق يعرف بـ (قبة السلسلة) . وكان يقوم مقام بيت المال لمسجد القبة. ويبدو من طرازه وزخارفه أنه يعود إلى العهد نفسه . ولمسجد قبة الصخرة مكانة مميزة عند المسلمين فمن تلك

الصخرة بدأ معراج النبي العربي بعدما أسرى به من المدينة إلى ذلك المكان . وهنا لا بد من الأشارة إلى عالم كبير خرج من القدس ونبغ في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) هو (الجغرافي المقدسي) ويعتبر كتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) نموذجاً للكتاب العلمي المبوب المقسم . وكان القرن الرابع الهجري فاتحة فوضى عصفت بالكثير من جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية وقد جاء الفاطميون من تونس واحتلوا مصر وأنشؤوا القاهرة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ، واحتلوا فلسطين ووقعت القدس في ايديهم سنة ٤٩٠هـ ـ ١٠٩٦م ، إذ انتزعوها من الحاكم السلجوقي ، علماً بأن السلاجقة كانوا قد استولوا على مقدرات الخلافة العباسية سنة ٤٤١هـ ـ ١٠٤٧م.

الاحتلال الصليبي للقدس

لكن الغربيين الذين كانوا يتطلعون دوماً إلى الشرق وتحت حجج مختلفة ، ما لبث أن تحركوا ، وقد أتوا براً من الشمال وبعدما احتلوا المناطق الساحلية في سوريا ولبنان وصلوا إلى سهل عكا ، ثم ساروا جنوباً مروراً (بقيسارية وأرسوف) ثم تحولوا نحو الداخل وأجتازوا الرملة ، وفي حزيران (يونيو) . . سنة ١١٠٠م وصلوا إلى القدس ودخلوا إليها في ١٥ تموز (يوليو) . وكانت الحملة الصليبية مؤلفة من أربعين ألف مقاتل ، فيما لم يتجاوز عدد أفراد الحامية الفاطمية الألف رجل وكان أول ملك صليبي للقدس هو (بلدوين) الذي توج يوم عيد الميلاد سنة ١١٠٠م. وفي عهده امتدت مملكة القدس اللاتينية من نهر

الكلب (لبنان) شمالاً إلى العقبة جنوباً . لكن مدينة صور اللبنانية ظلت خارج المملكة إلى سنة ٥٤٨هـ - ١١٥٣م.

عودة القدس إلى أهلها
العرب

واستطاع صلاح الدين الأيوبي أن يحرر القدس ويعيدها إلى أهلها العرب في أكتوبر ١١٨٧م. وكان الفرق جلياً بين معاملة صلاح الدين للمدنيين من الأفرنج وبين معاملة الأفرنج للمسلمين قبل ذلك بثمان وثمانين سنة فمن استطاع أن يؤدي الفدية عن نفسه فقد فعل وسمح للفقراء منهم بفرصة عشرين يوماً يجمعون خلالها مبلغاً يفتدون به أنفسهم وبيع الباقون عبيداً . أما الأراضي التي أخلاها الأفرنج فقد ابتاعها الجنود النصارى .

أما المماليك الذين كانت القدس في ايامهم أحياناً نيابة مستقلة فقد تركوا صفحة مشرقة في القدس وهم الذين اشتهروا بإقامة المساجد والمدارس والأضرحة التي كانت نماذج فنية فريدة تخطيطاً وبناء وزخرفة خارجية وداخلية . ومن الشواهد على ما قاموا به إصلاح (الملك الظاهر بيبرس) قبة الصخرة والمدارس والزوايا التي تحيط بالحرم الشريف في القدس . كما اصلحوا الحرم الأبراهيمي في مدينة الخليل . وقد اهتم العرب ، في العصور الوسطى ، بمدن فلسطين ، وخصوصاً القدس . وصدر العديد من مؤلفاتهم ، منها (الرسالة المقدسية) التي وضعها الإمام الغزالي والتي نجدها في كتابة (احياء علوم الدين) ، ورسالة الشيخ ابن تيمية (قاعدة في زيارة بيت المقدس) والأشارات التي نجدها في المؤلفات العامة مثل (نهاية

الأرب) للنويري و (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار) لأبن فضل الله العمري ، وكتاب (اتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى للسيوطي وكتاب (مُثير الغرام إلى زيارة القدس والشام) لشهاب الدين المقدسي ، و(الأنس الجليل في تاريخ القدس الخليل) للعليمي . انتقلت القدس إلى العثمانيين عام ٩٢٢هـ - ١٥١٦م . وقد اتبعها السلطان سليم مع نابلس وغزة بولاية دمشق، ثم تحولت إلى متصرفية . وعندما صدر الدستور العثماني سنة ١٨٧٦ ، واجريت الانتخابات عام ١٨٧٨ كانت حصة فلسطين (القدس وما إليها) نائباً واحداً هو يوسف ضيا الخالدي . لكن الدستور ما لبث أن علق حتى عام ١٩٠٨م عندما حصلت متصرفية القدس على عضوين . فانتخب سعيد الحسيني وروحي الخالدي ، وكان سكان فلسطين مع مطلع القرن التاسع عشر يتكونون من ٩٥٪ من العرب و٤٪ من اليهود وللاشكناز والسفارديم و١٪ من الجاليات الأجنبية .

قدس عربية . . وأخرى يهودية بفرمان من الباب العالي في تركيا

وفي عام ١٨٤٠م استطاع الثري البريطاني موشى مونتفيوري الحصول على فرمان من الباب العالي يكفل حماية اليهود في القدس ويضمن ممارستهم حرية المعتقد التي لم يتعرض لها أحد أيام الإمبراطورية العثمانية وبموجب هذا الفرمان أصبح الحاخام السفارادي الأكبر ، ومقره القدس ، رئيساً للطوائف اليهودية في الإمبراطورية .

الفرمان كان من الألغام التي
زرعت في جسم المنطقة

لكن هذا الفرمان كان واحداً من الألغام التي زرعت في جسم الإمبراطورية ، وبالتالي في جسم المنطقة . إذ راح اليهود يتدفقون على القدس من روسيا القيصرية ومن بولندا . وإذ كان عددهم لا يزيد عن ٦٠٠ سنة ١٨٦٦ أصبحوا ٢٨ ألفاً عام ١٨٩٥ ، وفي عام ١٩١٢ اصبحوا ٤٨ ألفاً ، أي أنهم أصبحوا الأكثرية فى المدينة .

رحيل اليهود من القدس بعد سقوط
حماية القنصليات الأوروبية

ومع إندلاع الحرب العالمية الأولى وانحياز تركيا إلى جانب المانيا ، خاف اليهود الذين سقطت عنهم حماية القنصليات الأوروبية خلال الحرب ، فأخذوا بالرحيل من القدس تباعاً حتى وصل عددهم بحلول عام ١٩١٨ إلى ٢١ ألفاً ، أي ما دون نصف عددهم قبل ست سنوات. وانتصرَ الحلفاء ودخل اللنبي إلى القدس بعد أن كان قد صدر وعد بلفور الشهير في ٢ تشرين الثاني (.نوفمبر) ١٩١٧ ـ واستدعى الفنيين والمهندسين والانجليز لوضع تنظيم جديد للمدينة . ووفقاً لهذا التنظيم ، فقد تم تقسيم المقدس أربع مناطق : البلدة القديمة واسوارها المناطق المحيطة بالبلدة القديمة ، القدس الشرقية العربية ، القدس الغربية اليهودية . وكان الهدف واضحاً ، وهو منح اليهود حرية التوسع في البناء والتعمير واحداث مراكز قوة تحيط بهذه المدينة فيما كانت الفعالية العربية تتضاءل تدريجاً وبدأ اليهود يتدفقون مرة أخرى على القدس فارتفع عددهم فيها من ٣٤٠٠٠ عام ١٩٢٢ إلى ٩٩٠٠٠

عام ١٩٤٦م، وهكذا أصبحت نسبة اليهود إلى مجموع السكان حوالي ٦٠ في المائة .

الإنتداب البريطاني يسلم أمور المدينة إلى اليهود

ولا شك أن الإنتداب البريطاني قام بدور كبير في تسليم أمور المدينة إلى اليهود ، وفي هذا الصدد ، فقد تلاعبت سلطات الإنتداب بحدود مسطح البلدية وبقوائم الناخبين بحيث كانت تستثنى الأحياء العربية مثل الطور ، سلوان العيسوية ، شعفاط وبيت صفافا . بينما كانت الأحياء اليهودية ، ومهما بعدت تدخل في مسطح البلدية .

قرار التقسيم المشؤوم

وفي ١٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ ، صدر قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٨١ ، المعروف بقرار التقسيم ، الذي رفضته الدول العربية على أساس أن الأمم المتحدة تخطت صلاحياتها في هذا الشأن ، ووافقت عليه المنظمة اليهودية ، وكانت موافقة تكتيكية فالمهم هو قيام إسرائيل ، وبعد ذلك تتم السيطرة على مدينة القدس بكاملها . أجل . . لقد أعلن قيام « دولة إسرائيل » في ١٤ آيار (مايو) ١٩٤٨ ، ذهب نصف القدس وبقي النصف الآخر داخل الحلم اليهودي . . وكانت النكبة . « لقد حطموا الهواء وحطموا النصوص المقدسة وحطموا التاريخ » القدس قدسان . .

رفض تدويل القدس

في عام ١٩٤٨ ، كان الجزء الأكبر من المدينة قد وقع في أيدي

القوات المغتصبة وراحت إسرائيل تعمل على دمج هذا الجزء بالدولة اليهودية ، متجاوزة قرار التقسيم الذي قبلته على مضض ، وهذا ما أكده تقرير لجنة التوفيق الدولية نقلاً عن رئيس الحكومة الاسرائيلية من أنه : (لأسباب تاريخية، سياسية ، ودينية ، لا تستطيع دولة إسرائيل الموافقة على إقامة نظام دولي خاص للقدس) ، وادعى ممثل إسرائيل عندها أن هذه العبارة وضعت خارج سياقها . وأعطى التأكيدات المتعلقة بتنفيذ قرار التدويل ، وأصبحت هذه التأكيدات جزءاً من قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بقبول إسرائيل عضواً فيها .

النوايا الإسرائيلية والمؤامرات الاستعمارية المساندة لها

لكن هذا الموقف لم يكن يعكس النوايا الإسرائيلية الحقيقية من المدينة والتي عبر عنها بوضوح دافيد بن جوريون ، أول رئيس للوزراء للكيان الصهيوني ، أثناء النقاش الصاخب في مجلس الشعب المؤقت (الكنيست لاحقاً) يوم ٢٤ حزيران (يونيو) ١٩٤٨ : (إننا نتفهم حاجة رفاقنا من القدس للبوح بما في صدورهم . . لكنه ليس صحيحاً أن القدس قد لحق بها الأجحاف ، إن رفاقنا من القدس ـ إذا حكمنا بناء على اقوالهم ـ لا يقدرون أن مسألة القدس في أساسها ليست مسألة ترتيبات ولا حتى مسألة سياسية ، بل في المقام الأول مسألة قدرة عسكرية ، هل ستكون لدينا القوة العسكرية من أجل :

ـ إحتلال المدينة القديمة .

ـ إحتلال ممر واسع بما فيه الكفاية من هنا (تل أبيب) إلى

القدس ، بحيث لا يشكل ممراً فحسب بل قطاعاً استيطانياً كافياً لربط القدس بباقي أراضي الدولة اليهودية .

ـ تدمير الجيش العربي (الأردني) في المثلث .

ودون هذه الأمور الثلاثة لا يمكن القول بثقة أن القدس قد حررت .

ومن العلامات البارزة هنا هي أنه في منتصف تموز (يوليو) ١٩٤٨ ، وقبل الهدنة الثانية في الحرب العربية ـ الإسرائيلية الأولى التي كان يفترض أن تبدأ في السابع عشر من الشهر نفسه ، قام الجيش الإسرائيلي بمحاولة فاشلة لإحتلال المدينة القديمة . وقد سميت العملية بأسم (كيديم) . ولم تبدأ الهدنة الامساء ١٨ تموز (يوليو) ونتيجة هذا الفشل استبدال القائد العسكري لمنطقة القدس (شأليتئيل) وعين دايان بدلاً عنه . لكن الجدل حول العملية ثار مرة أخرى بتوجيه بن جوريون اللوم إلى (شأليتئيل) (وبيغال يادين) ، قائد العمليات في حينه ، فيما رد هذا الأخير باتهام رئيس الحكومة ـ الذي كان وزيراً للدفاع أيضاً ـ بمسؤولية الفشل لأنه لم يأمر بالهجوم قبل ذلك التاريخ . وفي أواخر أيلول (سبتمبر) ١٩٤٨ ، تلقى بن جوريون نكسة أخرى عندما تحالف ثلاثة وزراء من حزبه (شاريت ، كابلان ، وريميز) مع أعضاء آخرين في الائتلاف لرفض اقتراحه الخاص بالقيام بعملية عسكرية ضد اللطرون لتأمين (قدس يهودية) وعندها حذر ابن جوريون وزراءه من أن معارضتهم ستسبب البكاء لأجيال ، ثم قدم اقتراحاً مماثلاً عام ١٩٥٢ لاحتلال قضائي القدس والخليل ، لكن الحكومة عارضته بأكثرية الأعضاء . لم يؤثر التقسيم

الواقعي للمدينة على نصوص قرار التقسيم وتدويل القدس ، فاصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة القرار رقم ١٩٤ في ١١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٨ الذي عاد وأكد مرة أخرى مبدأ تدويل المدينة وقرار تشكيل لجنة توفيق من مهامها وضع دائم لتدويل منطقة القدس . ووافقت الدول العربية لدى اجتماعها باللجنة التي تشكلت من فرنسا وتركيا والولايات المتحدة على فكرة التدويل التام لمنطقة القدس على أساس وحدتها ودون تقسيم الأماكن المقدسة فيها . لكن ذلك لم يعد مقبولاً من الجانب الإسرائيلي الذي أعلن أنه (غير قادر) على الموافقة على تشكيل نظام دولي في القدس وأعرب عن موافقته على تدويل الأماكن المقدسة ، مطالباً بقبول الوضع الراهن في المدينة . وبقرارها رقم ٣٠٣ تاريخ ١٩٤٩/١٢/٤ أكدت الجمعية العامة عزمها على وضع منطقة القدس تحت نظام دولي خاص يضمن حماية الأماكن المقدسة داخل مدينة القدس وخارجها . وعهدت الجمعية العامة في هذا القرار إلى مجلس الوصاية بالاضطلاع بأعباء المسؤوليات التي تتطلبها السلطة القائمة بالإدارة ، وبأن يضع بهذا الغرض (دستور القدس) وقام مجلس الوصاية بوضع الدستور المطلوب ، ولكن سرعان ما أعلن عجزه عن تنفيذ هذا النظام أمام إعلان إسرائيل نقل عاصمتها إلى القدس في ١٩٤٩/١٢/١١ وقيامها بأجراءات الضم الأخرى . وفي ١٤ حزيران (يونيو) ١٩٥٠ احتج المجلس على هذه الخطوات وأعلن إحالة الموضوع مع مشروع النظام المعدل إلى الجمعية العامة التي كررت تأكيد قراراتها في دورتيها الرابعة والخامسة . غير أن الجمعية العامة لم تبت في تقرير مجلس الوصاية ، ومنذ ذلك الوقت بفي التدويل عند هذه المرحلة .

مؤامرات تهويد القدس

رغم قبول العرب لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بتدويل القدس ومحاولة إسرائيل أن يكون التدويل مقتصراً على الأماكن المقدسة فقط ، فقد استمر الكيان الصهيوني في مؤامراته لتهويد القدس . فمنذ عام ١٩٤٨ احتلت إسرائيل القسم الغربي من المدينة ، وبقيت المدينة القديمة تحت السيادة الأردنية . . وعقب العدوان الإسرائيلي في يونيو ١٩٦٧ ، شرعت العصابات الصهيونية في مخططات واسعة لتهويد المدينة حيث أزيلت الجدران التي تفصل شطري المدينة وأصبحت تابعة لبلدية واحدة . وفي أغسطس ١٩٨٠ أصدر الكنيست الإسرائيلي قراراً خطيراً بأعتبار القدس عاصمة أبدية لإسرائيل ، وقد أحدث هذا القرار ردود فعل واسعة على الساحات العربية والإسلامية والدولية . وتحركت الأمة العربية والإسلامية لمجابهة هذا الخطر وتشكلت لجنة القدس برئاسة جلالة الملك الحسن الثاني وعقدت إجتماعاً طارئاً بمدينة فاس المغربية في الفترة من ١٨ ـ ٢٠ أبريل ١٩٨٤ حيث صدر قرار بقطع العلاقات فوراً مع كل من كوستاريكا والسلفادور لمبادرتهما بنقل سفارتيهما من تل أبيب إلى القدس ، كما أوصيت اللجنة بتخصيص يوم ١٨ مايو ١٩٨٤ يوماً للقدس مع التوصية بالعمل على استعادة القدس الشريف والحفاظ على طابعها الإسلامي وحماية واستعادة المسجد الأقصى وجميع المقدسات الإسلامية التي يتهددها الإحتلال الصهيوني الغاشم بالضم والتهويد والتخريب . وأخيراً فإن القدس المقدسة الجريحة تئن تحت نير استعماري غادر وتتعمق جراحها يوماً بعد يوم فلا تملك أن تلعق جراحها بين أيدي معتقليها الملوثة . وتشرئب ببصرها لمن يداويها

وينقذها . . فلا تجده فيرتد إليها البصر خاسئاً وهو حسير . . فكم تنتظر وكم تحتمل . . ومتى تتحرر ومن يحررها . .

وهل نسي المسلمون أن تحرير القدس واجب ديني يأثم القاعد عنه والجهاد في سبيله يوصل إلى إحدى الحسنيين . . وهو الطريق إلى الجنة .

وصف القدس

والقدس اليوم تتألف كما كانت قبل ألف عام من حارات يشكل واسطة العقد بينها جميعاً الحرم الشريف الذي تبلغ مساحته سدس مساحة المدينة كلها ويقع في الجنوب الشرقي من المدينة . وتقع حارة باب حطة في الزاوية الشمالية الشرقية من القدس تليها إلى الغرب حارة السعدية ثم باب العامود وغربي الحرم حارة علاء الدين وحارة القطانين وجنوبهما حارة المغاربة . وفي وسط المدينة القديمة حارة الواد وباب السلسلة . ويخترق المدينة من باب العامود إلى الجنوب سوق خان الزيت وشماله تقع حارة النصارى ـ وشمال حارة المغاربة في الزاوية الجنوبية الشرقية تقع حارة الشرف ثم حارة الأرمن حتى سور القدس الغربي . إن مباني القدس ومعالمها الأثرية المختلفة القائمة حتى وقتنا الحاضر هي في أكثريتها الساحقة عربية إسلامية بنيت بين القرن الأول والقرن العاشر للهجرة ومن أثار القدس الإسلامية يمكننا أن نشاهد حتى اليوم حوالي ٤٠ مدرسة و ٢٠ زاوية و١٠ مساجد و ٥ حمامات و٢٨ سبيلاً وعدداً كبيراً من القناطر والمقابر والأضرحة والقباب والأروقة والاسواق والمآذن والخانات والبرك والسرايات والأبراج والمساطب وغيرها . ويلغ مجموع هذه الأثار العربية الإسلامية قرابة مائة وسبعين أثراً . . وإذا انتقلنا من جبل الطور شرقاً إلى القدس نفسها متجهين إلى

الباب الوحيد المفتوح في سور القدس من جهة الشرق وهو باب ستنا مريم أو باب الأسباط وعلى امتداد سور القدس الشرقي نصادف أول ما نصادف مقبرة إسلامية تاريخية هي مقبرة باب الرحمة نسبة إلى باب الرحمة أحد أبواب سور القدس الشرقي وهو باب مغلق منذ زمن صلاح الدين الأيوبي وباب الأسباط أو باب ستنا مريم وهو يعرف أيضاً بأسم الأسود نظراً لوجود أربعة أسود منقوشة فوق جانبي قوس الباب وهذه الأسود هي شعار الملك الظاهر بيبرس السلطان المملوكي في القرن الثالث عشر وفي يسار الداخل من الباب قبور ملوك الأخشيديين الثلاثة وهم محمد بن طغج الأخشيد المتوفي سنة ٣٢٤هـ وانوجور بن محمد الأخشيد المتوفي سنة ٣٤٩هـ وعلى الأخشيد أخي أنوجور المتوفي سنة ٣٥٥هـ وقد دفن الثلاثة في القدس بناء على وصاياهم . والداخل من باب الاسباط إلى ساحة الحرم يتجلى أمامه بكل الجلالة والروعة الحرم القدسي الشريف وفي وسطه قبة الصخرة التي بناها عبد الملك بن مروان سنة ٧٢هـ ٦٩١م . وهي من أجمل المباني التي شادها الإنسان وقد وصفها هابترلويس بقوله (إنها أجمل الاثار التي خلدها التاريخ . وقال جوستاف لوبون : أنه أعظم بناء يستوقف النظر ، أن جماله وروعته لا يصل إليها خيال الانسان) وقبة الصخرة عبارة عن مبنى ثماني الأضلاع فوقه قبة ترتفع ٣٠, ٣٠ متراً وقطرها ٣٠, ٢٠ متراً ، وتحت القبة مباشرة تقع الصخرة . ولمبنى قبة الصخرة أربعة أبواب من الجهات الأربع (الشمال والجنوب والشرق والغرب) . وحول المبنى كتبت سورة يسن على افريز عال وبخط جميل . وصحن قبة الصخرة يرتفع عن ساحة الحرم ويصعد إليه على درجات من مختلف الجهات وقد أنتشرت حول

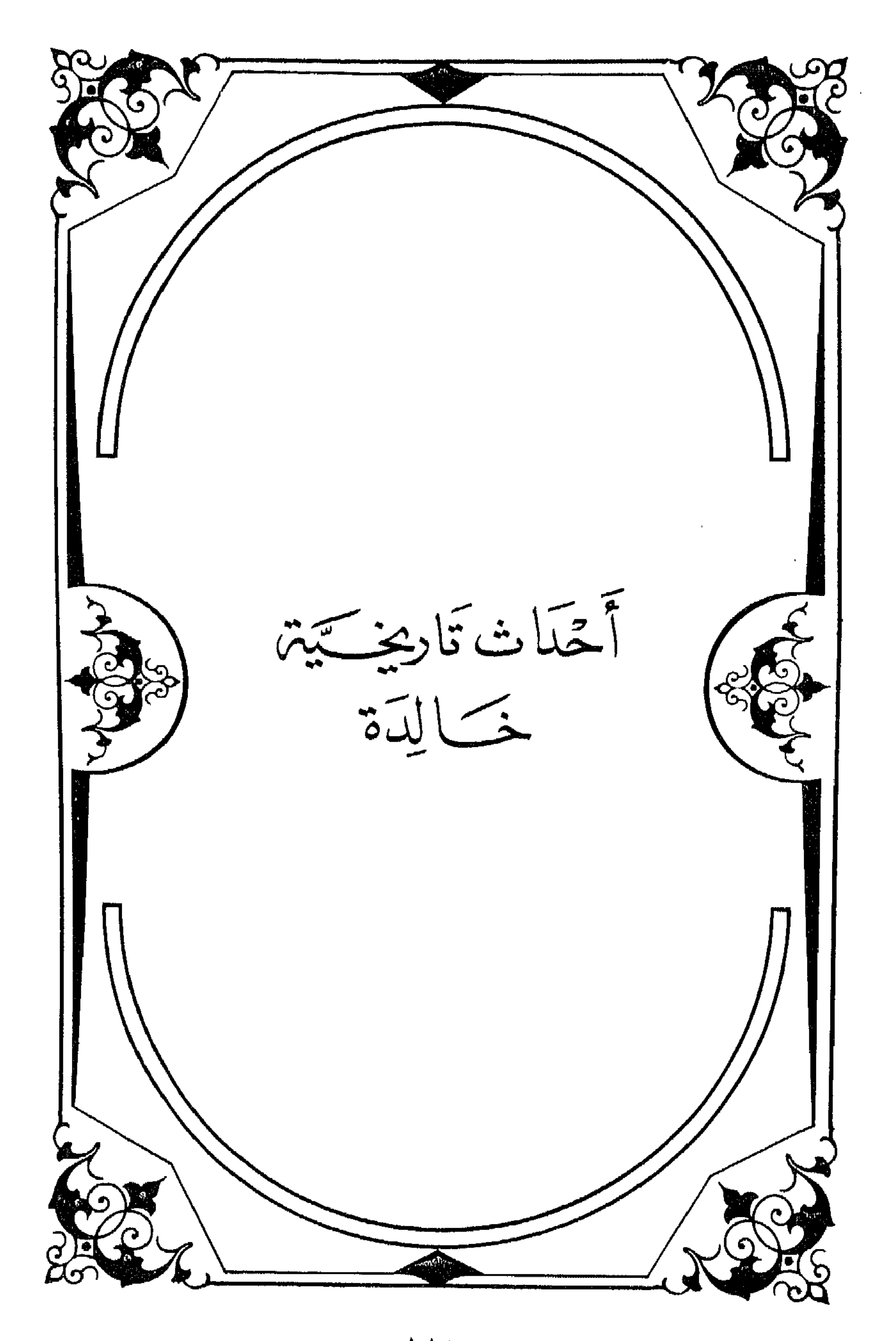
الصحن غرف كانت تستعمل لموظفي الحرم والعلماء والمدرسين وعددها ست عشرة غرفة . وهناك في الصحن عدد من القباب أشهرها قبة السلسلة التي تقع شرقي قبة الصخرة وذكر أنها بنيت قبل قبة الصخرة كنموذج للبناء الكبير . وفي داخل مسجد قبة الصخرة نرى الجدران مغطاة بالرخام والفسيفساء التي وضعت في تناسق عجيب بحيث تغطي الجدران فوق تيجان الأعمدة . وقد أجريت على مبنى القبة إصلاحات عديدة طوال التاريخ الإسلامي كان آخرها ما قامت به حكومة المملكة الأردنية سنة ١٩٦٤م عندما عمرت القبة تعميراً شاملاً .

ومن صحن قبة الصخرة على الدرج الجنوبي يجد الرائي المسجد الأقصى الذي بناه الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك سنة ٩٠هـ / ٧٠٩م ويختلف بناء المسجد الحالي عن بناء الأمويين إختلافاً كبيراً . فقد أعيد يناء المسجد بعد ذلك ورمم عدة مرات خاصة في زمن المنصور والمهدي العباسيين ثم في زمن الخليفة الفاطمي الظاهر سنة ٤٢٥هـ / ١٠٢٣م . وعندما احتل الصليبيون القدس غيروا معالم المسجد فجعلوا جانباً منه كنيسة وجانباً آخر مسكناً لفرسان الهيكل . ولما استعاد صلاح الدين القدس أعاد المسجد إلى ما كان عليه ثم أجرى حكام الأيوبيين والمماليك والعثمانيين تغييرات كثيرة في مبنى المسجد الأقصى . وفي القرن الحالي جرى تعميران بإشراف المجلس الإسلامي الأعلى لفلسطين سنة ١٩٢٥م وسنة ١٩٣٨م وبعد الإحتلال الإسرائيلي وفي سنة ١٩٦٩م شب حريق متعمد في المسجد الأقصى أتى على قسم كبير من جزئه الجنوبي واحترق من جرائه المنبر الأثري النفيس . وعلى أثر ذلك بدأت عملية الترميم وإصلاح أضرار الحريق

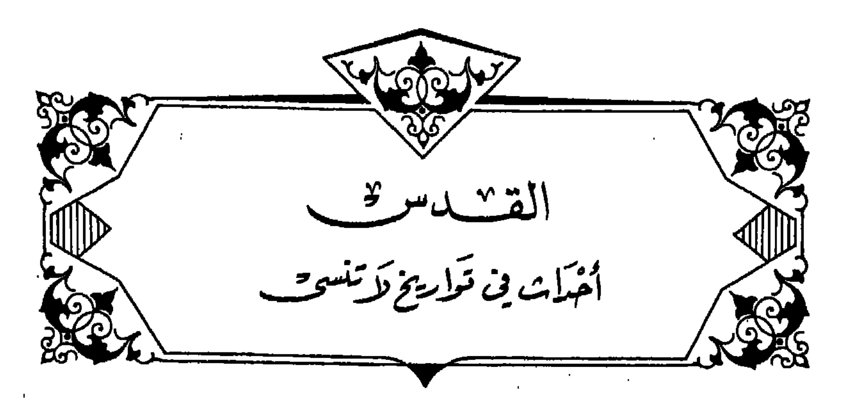
بإشراف هيئة أعمار المسجد الأقصى ويبلغ طول المسجد الأقصى من الداخل ٨٠ متراً وعرضه ٥٥ متراً وله أحد عشر باباً وقد كـان للمسجد الأقصى دور عظيم على مدى التاريخ في الحيـاة الدينيـة والاجتماعيـة والسياسية والثقـافية في البـلاد . وكان من أكبـر المراكـز التعليمية في الإسـلام . وقد ارتبط تـاريخ الإسـلام والمسلمين منـذ العقـد الثـاني للهجرة النبوية الشريفـة بمدينـة القدس المبـاركة فكـان لها أن طبعت التاريخ البشري بطابع الصراع الذي بلغ أوجه في عصرنا الحاضر . وما الحروب الصليبية التي دامت قـرنين من الزمـان إلا مظهـراً بارزاً لهـذا الصراع المحتدم الذي يتخذ اليوم أشكالاً جديدة تجسم في مجموعها التحدي العالمي للضمير الإنساني عامة والإسـلامي خاصـة . لقد دام حكم المسلمين للقدس الشريف أكثر من ثلاثـة عشر قـرناً عـاش فيها سكـانها على إختـلاف ديانـاتهم في بحبـوحـة من الكـرامـة والحـريـة والمعاملة الحسنة ، وكيف لا يطبق المسلمون ذلك وقد أعطى خليفتهم عمـر بن الخطاب رضي الله عنـه عهده وذمتـه وذمة المسلمين بـأن تبقى للنصارى حرمتهم وتصان مقدساتهم . وليس صحيحاً ما يدعيـه اليهود من أن القد س ملك لهم ، فقد كان العبرانيون يقصدونها فاتحين فترات متعددة قبل الميلاد ولكنهم كانوايطردون منها . ولدى فتح المسلمين لها اشتـرط المسيحيون أثنـاء تسليمها ألا يسكنهـا يهود كمـا ورد في العهـدة العمـرية ، ولكنهم بعـد الفتح الإسـلامي صاروا يفـدون عليها بقصـد الزيارة والعبادة التي حرموا منها أيام الحكم الرومـاني . ثم بعد إقـامة محاكم التفتيش في الأندلس هاجر الكثيرون منهم إلى المغرب لاجئين محتمين بالتسامح الإسلامي . وهاجر آخرون إلى الشرق العربي وإلى القدس الشريف بالذات ونظراً لأن الإسلام يـوصي بمعاملة أهـل الكتاب

بالحسنى فلقد افسحوا لهم المجال وسمحوا لهم بالإقامة وحرية العبادة مثل ما عاملوا النصارى سواء بسواء. وهكذا صاروا يشتغلون كبقية المواطنين ، بل أسندت لهم بعض الخدمات في المسجد الأقصى مقابل ألا تؤخذ منهم الجزية . وهكذا أثبت الحكم الإسلامي أنه يحترم أصحاب الديانات جميعاً غير مفرق بين الأنبياء وبين أتباعهم سواء من اليهود أو النصارى بعكس ما وقع لهم من الرومان الذين حرموا عليهم المدينة وقضوا حتى على أماكن عبادتهم . واليوم وبعد أن أعتدى الصهاينة على أرض فلسطين ، وادعائهم أنها بلدهم وأن القدس عاصمة أبدية لهم فعلى المسلمين جميعاً واجب تحريرها منهم ورفع شعار القدس في كل مكان ، وما أجدر أن يكون القدس في ضمير كل مسلم وفي عقيدته وفي ايمانه وفي صلاته وفي محل عمله وفي يقظته وفي نومه لأنه القبلة الأولى ومسرى النبي ﷺ وثالث المساجد التي لا تشد الرحال إلا إليها وقد عطلت مع الأسف هذه الرحلة التي هي لا يجوز أن تكون إلا في ظل الإسلام وتحت حكمه المطلق . أن مدينة القدس ليست للعرب وحدهم فهي لجميع المسلمين ، والعرب إنما هم حراس لها وسدنة لحرمها . فإذا غلبوا لسبب من الأسباب فإن الواجب أن تهب الأمة الإسلامية جمعاء للدفاع عنها وحمايتها وإلا حاق بها الذل والهوان في كل مكان وأعتبر استسلامها وتخاذلها وصمة عار في جبين كل مسلم ، وميسم خزي يلاحقه أينما حل وأرتحل . وهذا هو الواقع التاريخي الذي درج عليه المسلمون في الماضي أثناء الحروب الصليبية فلم تكن هناك قوة عربية تقاتل وحدها أو قوة تركية أو قوة كردية مثلاً ، وإنما هي قوة إسلامية متكملة مؤلفة من جميع الأصول والعناصر التي تكون المجتمع الإسلامي ، كما أن الصليبيين كانوا

أجناساً وشعوباً لا تجمعهم إلا رابطة الصليب . أن ارتباط المسلمين بالقدس والأقصى أرتباط أبدي ، وتحريرها واجب عيني ، وإن المرابطين فيها المدافعين عنها مضمون لهم النصر أن شاء الله . فلقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : **(لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين ، لعدوهم قاهرين ، لا يضطرهم من خالفهم إلا ما أصابهم من لأواء ، حين يأتيهم أمر الله وهم كذلك)** . قالوا يا رسول الله : وأين هم ؟ قال : **(ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس)** .



أحداث تاريخيّة خالِدة



عام ٤٠٠٠ ق. م.: نزوح الكنعانيين من شبه الجزيرة العربية إلى فلسطين (أرض كنعان) .

عام ٣٠٠٠ ق. م.: بناء يبوس على يد اليبوسيين (قبيلة من الكنعانيين) .

عام ٢٠٨٥ ق. م.: قدوم إبراهيم عليه السلام إلى أرض كنعان .

عام ١٥٥٠ ق. م.: عبد حيبا حاكم يبوس (القدس) يستنجد بفرعون مصر من غارات العبارنيين كما تدل ألواح تل العمارنة .

عام ١٤٧٩ ق. م.: خضوع أوروسالم (القدس) لمصر في عهد تحوتمس الثالث .

عام ١٠٤٩ ق. م.: استيلاء داود على القدس وجعلها عاصمة لمملكته .

عام ١٠١٥ ق. م.: سليمان ملكاً على القدس .

عام ٩٣٧ ق. م. : وفاة سليمان وانقسام مملكته إلى شطرين : يهوذا وعاصمتها أورشليم ، وإسرائيل وعاصمتها شكيم (نابلس) .

عام ٩٣٥ ق. م. : استيلاء شيشاق (شيشنق) فرعون مصر على القدس .

عام ٧٢٠ ق. م. : غزو الاشوريين للقدس .

عام ٦٧٨ ق. م. : إعادة إحتلال القدس على يد الأشوريين .

عام ٥٨٦ ق. م. : نبوخذ نصر ملك بابل يدك أسوار أورشليم .

عام ٥٣٨ ق. م. : الفرس يحتلون القدس .

عام ٣٣٢ ق. م. : استيلاء الأسكندر الأكبر على القدس .

عام ٣٢٠ ق. م. : بطليموس الأول حاكم مصر يفتح القدس .

عام ١٦٦ ق. م. : انتقال القدس من حكم البطالمة إلى حكم الدولة المكابية .

عام ٦٣ ق. م. : احتلال القدس من قبل الرومان الوثنيين في عهد بومبي. بعد ميلاد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام.

عام ٧٠م. : هدم سوليوس (القدس) على يد تيطس ملك الروم .

عام ١٣٥م. : تدمير بوليوس (القدس) مرة أخرى على يد أوريانوس الذي أنشأ مدينة جديدة على أنقاضها أسماها ايليا كابيتولينا .

عام ٣٢٣م. : ايليا كابيتولينا تقع تحت الحكم البيزنطي (الرومان المسيحيون) .

عام ٥٣٠م. : جعل أيلياء (القدس) مقراً للبطريركية عهد جوسيتسنان ملك بيزنطة .

عام ٣٣٥م. : بناء كنيسة القيامة .

عام ٦١٤م. : استيلاء الفرس على أيلياء (القدس) .
عام ٦٢٨م. : أيلياء تعود للحكم الروماني .
عام ٦٣٨م. : الفتح الإسلامي للمدينة ودخول عمر بن الخطاب القدس .
عام ٦٨٥م. : بدء بناء مسجد الصخرة في عهد عبد الملك بن مروان .
عام ٦٩١م. : الانتهاء من بناء مسجد الصخرة .
عام ٦٩٣م. : بدء بناء المسجد الأقصى .
عام ٧٠٥م. : الإنتهاء من بناء المسجد الأقصى .
عام ١٠٩٩م. : سقوط القدس في أيدي الصليبيين .
عام ١١٨٧م. : دخول صلاح الدين الايوبي مدينة القدس يوم الجمعة الموافق لـ ٢٧ رجب ٥٣٨ هـ .
عام ١٥١٧م. : وقوع القدس تحت الحكم العثماني في عهد سليم الأول .
عام ١٨٨٢م. : صدور قانون من الباب العالي يحرم هجرة اليهود لفلسطين . عدل هذا القانون فيما بعد وسمح لهم بزيارتها للعبادة .
عام ١٩١٤ : تمثيل القدس في البرلمان العثماني بثلاثة نواب .
عام ١٩١٧ : ٢ نوفمبر ، وعد بلفور بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين .
٩ نوفمبر ، سقوط القدس تحت الإحتلال البريطاني ودخول القوات البريطانية لها بقيادة ادموند اللنبي .

قيام مظاهرات دامية بعد الكشف عن وعد بلفور .

عام ١٩٢٠م. : ٢٤ أبريل ، صدور قرار من مجلس الحلفاء التابع لمؤتمر الصلح بوضع فلسطين تحت الإنتداب البريطاني .

وقوع حوادث عنف بين اليهود والعرب في مدينة القدس .

١ يوليو ، استبدال الحكم العسكري بإدارة مدنية ودخول أول مندوب سام بريطاني مدينة القدس تحت حراسة الطائرات والدبابات .

وقوع مصادمات دموية بين العرب واليهود .

عام ١٩٢١م. : ٢٥ يونية مؤتمر القدس يطالب برفض الإنتداب وإلغاء وعد بلفور واستقلال فلسطين .

عام ١٩٢١م. : ٢٤ يوليو ، عصبة الأمم تفرض الإنتداب البريطاني على فلسطين .

عام ١٩٢٥م. : سبتمبر ، مصادمات بين المسلمين واليهود حول البراق .

عام ١٩٤٦م. : مايو ، ملوك ورؤساء الدول العربية في مؤتمر انشاص يرفضون توصيات لجنة التحقيق ويعلنون عزمهم على الدفاع عن كيان فلسطين .

يونيو ، مجلس الجامعة العربية في بلودان يرفض توصيات لجنة التحقيق ويقر مبدأ التفاوض مع الحكومة البريطانية حول مستقبل فلسطين ، وكذلك يقرر دعم الفلسطينيين بشرياً ومالياً

ومحاربة بريطانيا وامريكا اقتصادياً وسياسياً .

١٢ ديسمبر ، قرار مجلس جامعة الدول العربية رقم ١٤٢ يرفض مشروع تقسيم فلسطين .

عام ١٩٤٧م . : يناير ، رفضت بريطانيا مشروع الدولة الموحدة في فلسطين وذلك بعد أستئناف مؤتمر لندن أعماله .

٢٩ نوفمبر ، صدور قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٨١ الذي يوصي بوضع خطة لتقسيم فلسطين وإنشاء نظام دولي خاص لمدينة القدس تحت إدارة الأمم المتحدة .

٢ ديسمبر ، المعارك تندلع بين العرب واليهود في مدينة القدس .

عام ١٩٤٨م . : ١٤ مايو ، قرار الجمعية العامة رقم ١٨٦ بتعيين وسيط دولي

اعتداء اليهود على مدينة القدس القديمة .

إعلان قيام دولة إسرائيل .

١٥ مايو مغادرة المندوب السامي البريطاني لفلسطين منهياً بذلك رسمياً الإنتداب البريطاني عليها .

أعتراف الولايات المتحدة الامريكية بدولة إسرائيل .

دخول الجيوش العربية النظامية إلى فلسطين .

١٧ مايو ، القوات الاردنية تدخل مدينة القدس القديمة .

٢٢ مايو ، قرار مجلس الأمن رقم ٤٩ الذي يطالب بوقف إطلاق النار في فلسطين وعقد هدنة في القدس .

١١ يونيو ، إعلان الهدنة الأولى .

٩ يوليو ، إندلاع المعارك بين القوات المتحاربة .

١٥ يوليو ، قرار مجلس الأمن رقم ٥٤ بأمر الأطراف المعنية بالامتناع عن القيام بأعمال عسكرية أخرى .

١٧ سبتمبر ، اغتيال الوسيط الدولي الكونت فولك برنادت على أيدي الارهابين الاسرائليين .

عام ١٩٤٩م. : ١٤ فبراير انعقاد الكنيست الاسرائيلي بالقدس لأول مرة .

٢١ مارس ، بدء المباحثات الخاصة بوضع القدس وحق اللاجئين في العودة بين لجنة التوفيق والدول العربية .

٣ أبريل ، توقيع اتفاقية رودس للهدنة الدائمة بين الأردن وإسرائيل . وبقاء تقسيم القدس كأمر واقع .

٨ نوفمبر ، إعلان ابن جوريون في الكنيست عن حق إسرائيل الكامل في أن تكون القدس اليهودية جزءاً لا يتجزأ من دولة إسرائيل .

٩ ديسمبر ، قرار الجمعية العامة رقم ٣٠٣ بإعادة تأكيد وضع القدس تحت نظام دولي دائم .

١١ ديسمبر ، إعلان إسرائيل نقل عاصمتها من تل أبيب إلى القدس وجعلها عاصمتها الرسمية .

٢٠ ديسمبر ، قرار مجلس الوصاية رقم ١١٤ بدعوة إسرائيل إلى إبطال نقل بعض الدوائر والوزارات إلى القدس .

٣٠ ديسمبر ، رد إسرائيل على قرار مجلس الوصاية بأن هذه الهيئة لا تملك التدخل في الشؤون الداخلية الإدارية للدول الأعضاء في الأمم المتحدة .

عام ١٩٥٠م. : ١٩ يناير ، اللجان التشريعية والعلاقات الخارجية والأمن في الكنيست توافق على خطوة الحكومة نقل مكاتبها إلى القدس بوصفها عاصمة إسرائيل .

٢٣ يناير ، إعلان الكنيست أن القدس عاصمة دائمة لإسرائيل .

١٢ فبراير ، مجلس الوصاية يناقش مسودة دستور منطقة القدس الدولية الذي اعده في أبريل ١٩٤٨ .

٥ أبريل ، إقرار الصيغة النهائية لدستور القدس من قبل مجلس الوصاية .

٦ أبريل ، قرار مجلس الوصاية رقم ٢٣٢ بدعوة إسرائيل والأردن إلى التعاون من أجل تنفيذ نظام القدس .

٨ أبريل ، قرار مجلس الجامعة العربية رقم ٣٠١ بوجوب النص في نظام القدس بالابقاء على الحالة الديموجرافية للمدينة كما كانت في ١٩٤٨/١١/٢٩ .

قرار مجلس جامعة الدول العربية رقم ٣٠٢ بمراعاة الابقاء على نسبة ملكية الأراضي الزراعية والعقارية المبنية في مدينة القدس بين عنصري السكان كما كانت في ١٩٤٨/١١/٢٩ .

قرار مجلس جامعة الدول العربية رقم ٣٠٣ بوجوب النص في الدستور على حق منطقة القدس في نصيبها من أموال الحكومة . الفلسطينية السابقة .

قرار مجلس جامعة الدول العربية رقم ٣٠٤ بوجوب النص بالدستور على المحافظة على الاوقاف المرصودة لخدمة مؤسسات دينية وخيرية وثقافية قائمة في منطقة القدس .

٢٦ مايو ، ردت إسرائيل على موافقة مجلس الوصاية على نظام القدس باقتراح نظام أشراف دولي على الأماكن المقدسة في المدينة من قبل الأمم المتحدة فحسب.

٧ ـ ١٣ مايو ، مناقشة تدويل القدس في الجمعية العامة للأمم المتحدة .

ديسمبر ، لم تصل الجمعية العامة إلى قرار وظل

التدويل الشامل ودستور القدس ينتظران وسائل التنفيذ .

عام ١٩٥٢م. : ٤ مايو ، وزارة الخارجية الإسرائيلية تعلن عن نقل مكاتبها إلى القدس بمجرد الإنتهاء من الترتيبات الفنية .

عام ١٩٥٣ : ١٣ يوليو ، السلطات الإسرائيلية تنقل وزارة الخارجية من تل أبيب إلى القدس .

٢ ديسمبر مقابلة السفير السوفييتي بإسرائيل لوزير خارجيتها بالقدس يعتبر أول الطريق لفك الحصار الدبلوماسي المفروض حولها .

عام ١٩٥٤ : ٢٧ يناير ، قرار مجلس جامعة الدول العربية رقم ٧٠٧ بتوصية حكومة المملكة الاردنية الهاشمية باتخاذ الإجراءات اللازمة لتعمير الصخرة المشرفة بالقدس .

١٠ نوفمبر ، تقديم أوراق اعتماد السفير البريطاني لرئيس دولة إسرائيل بالقدس .

١٢ نوفمبر ، تقديم أوراق اعتماد السفير الامريكي لرئيس دولة إسرائيل بالقدس .

ـ وهذا ما احتجت عليه الدول العربية لأنه خرق لقرار تدويل القدس .

عام ١٩٥٦ : ٣٠ نوفمبر ، قرار المؤتمر العام لليونسكو رقم ٧٠٩١ بالإعراب عن الأمل في اتخاذ التدابير من أجل حماية الممتلكات الثقافية في حالة النزاع المسلح .

عام ١٩٥٧ : ١٧ نوفمبر قرار مجلس جامعة الدول العربية رقم ١٣٩٠ بإعمار المسجد الأقصى والصخرة المشرفة في القدس .

عام ١٩٥٨، : يناير ، رفع مفوضية هولندا بالقدس إلى درجة سفارة وبذلك تصبح أول سفارة لدولة اجنبية بالقدس كعاصمة إسرائيل .

٢٢ يناير ، قرار مجلس الأمن رقم ١٢٧ بتوجيه كبير مراقبي هيئة رقابة الهدنة ليقوم بتنظيم النشاطات بين الخطوط الفاصلة في القدس والطلب من إسرائيل الكف عن اعمالها في المنطقة .

عام ١٩٦٤ : ٢٨ماية ، انعقاد أول مجلس وطني فلسطيني بالقدس واتخاذ قرار بإنشاء منظمة التحرير الفلسطينية .

٣٠ أغسطس ، افتتاح مبنى جديد للكنيست بالقدس .

١٢ ديسمبر ، قرار مجلس جامعة الدول العربية رقم ٢٢٤٢ بالتصدي لمحاولة إسرائيل تهويد مدينة القدس في المجالين العربي والدولي وحث الدول العربية على القيام بمشروعات انشائية وعمرانية في القدس .

عام ١٩٦٧ : ٧ يونيو ، إحتلال اسرائيل القدس الشرقية .

١١ يـونيـو ، إسـرائيـل تبـدأ سلسلة من عمليـات النسف والهـدم لأمـلاك عـربيـة داخـل السـور وخارجه .

٢٧ يونية ، اصدرت السلطات الإسرائيلية المحتلة عدة قرارات تهدف إلى ضم القدس أدارياً وسياسياً لإسرائيل .

٢٩ يـونيو القـائد الإسـرائيلي العسكـري للقـدس يصـدر أمراً بحـل مجلس أمانـة القـدس ومجلس بلديتها .

: ٤ يوليو ، إقرار الجمعية العامة رقم ٢٢٥٣ بدعوة إسرائيل إلى إلغاء التدابير المتخذة لتغيير وضع القدس والامتناع عنها في المستقبل .

: ١٤ يوليو، قرار الجمعية العامة رقم ٢٢٥٤ بإبداء الأسف للتـدابير التي اتخـذتها إسـرائيـل لتغييـر وضع مدينة القدس .

٢٥ يـوليو ، إجـراء احصاء لسكـان القـدس بعـد الإحتلال ومصادرة املاك الغائبين منهم .

١٣ سبتمبر ، قرار مجلس جـامعة الـدول العربيـة رقم ٢٣٥٥ بمجابهة الضغط الذي تمارسه إسرائيل على الدول العربيـة من أجل الإعتـراف بالقـدس المحتلة عاصمة لها ومحاولة تغيير وضـع المدينـة وجعلها تابعة لإسرائيل .

عام ١٩٦٨ : ١٣ أبريل ، سلطات الاحتلال الإسرائيلي للقدس

تصدر أمراً أدارياً يقضي بالإستيلاء على مساحة ١١٦ دونما مربعاً من الأراضي المجاورة للحرم الشريف .

٢٥ أبريل مظاهرات صاخبة بالقدس احتجاجاً على قيام إسرائيل بإجراء عرض عسكري بالقدس القديمة .

٢٧ أبريل ، قرار مجلس الأمن رقم ٢٥٠ بدعوة اسرائيل إلى الامتناع عن إقامة العرض العسكري في القدس .

٢مايو ، قرار مجلس الأمن رقم ٢٥١ بإبداء الأسف العميق لإقامة العرض العسكري في القدس .

٢١ مايو ، قرار مجلس الأمن رقم ٢٥٢ بدعوة إسرائيل إلى إلغاء جميع إجراءاتها لتغيير وضع القدس .

٢٨ إعلان حكومة إسرائيل نقل القيادة المركزية للجيش وبعض مكاتب الشرطة والبريد والعمل للقدس الشرقية (العربية) .

عام ١٩٦٩ : ٢٧ يناير ، اغلاق كنيسة القيامة عندما اعتصمت فيها ٢٤ سيدة احتجاجاً على الاحتلال الإسرائيلي للقدس .

٣ يوليو ، قرار مجلس الأمن رقم ٢٦٧ بدعوة

إسرائيل مجددا إلى الغاء جميع الإجراءات التي من شأنها تغيير وضع القدس .

١٧ يوليو ، اصدرت السلطات الإسرائيلية المحتلة قانون الإشراف على المدارس وذلك للسيطة على منهج التعليم .

٢١ أغسطس ، احتراق المسجد الاقصى المبارك على أيدي أرهابيين إسرائليين .

١٥ سبتمبر ، قرار مجلس الأمن رقم ٢٧١ بإدانة إسرائيل لتدنيس المسجد الاقصى ودعوتها إلى الغاء جميع الإجراءات التي من شأنها تغيير وضع القدس .

٢٥ سبتمبر ، قرارات المؤتمر الإسلامي بالرباط تدين الاحتلال الاسرائيلي للقدس والإجراءات التعسفية الإسرائيلية ضد المقدسات الدينية .

- قرار المجلس التنفيذي لليونسكو رقم ٨٢م ت / ٢، ٢، ٤ بالطلب من السلطات الإسرائيلية المحتلة المحافظة على الأملاك الثقافية .

- إنشاء الجامعة العبرية في الجانب الشمالي من المدينة وهذا عبارة عن توسيع المباني القديمة للجامعة على أرض عربية مصادرة .

عام ١٩٧٠ : ٣٠ يونيو أصدرت السلطات الإسرائيلية المحتلة إعلان مصادرة الأراضي العربية الجديدة في القدس استولت بموجبه على مساحات كبيرة من

الأراضي العربية في مدينة القدس .

١٥ سبتمبر ، قرار مجلس الجامعة العربية رقم ٢٦٦٩ بالتأكيد على عروبة القدس وبيان الأخطار المترتبة على حفريات إسرائيل بالمدينة العربية بالقدس .

ـ إنشاء مستعمرة « عطروت » وتقع شمال المدينة قرب المطار . وهي عبارة عن منطقة صناعية تضم ٦١ مصنعاً . أقيمت على مساحة ١٠,٠٠٠ دونم كانت ملكاً للسكان العرب من قرية بيت حنينا .

٢٥ سبتمبر، قرار مجلس الأمن رقم ٢٩٨ بالأسف لعدم احترام إسرائيل لقرارات الأمم المتحدة، الخاصة بإجراءاتها لتغيير وضع القدس .

عام ١٩٧٣ : ٧ ديسمبر، قرار الجمعية العامة رقم ٣٠٩٢ تقرير اللجنة الخاصة بالتحقيق في الممارسات الإسرائيلية التي تؤثر في حقوق الإنسان لسكان الأراضي المحتلة .

عام ١٩٧٤ : ١ ديسمبر إعلان السلطات الإسرائيلية عن مشروع القدس الكبرى الذي يقترح توسيع حدود القدس بحيث تضم بالإضافة إلى القدس ثلاث مدن أخرى وسبعة وعشرين قرية عربية مجاورة ويخضع حوالي مائة ألف عربي آخرين بحكم سلطات

إسرائيل المباشر سياسياً وقانونياً .

عام ١٩٧٦ : ١٨ يناير ، إصدار قاضية إسرائيلية قراراً يبيح لليهود الصلاة داخل الحرم القدسي الشريف .

١٣ فبراير ، قرار لجنة حقوق الإنسان رقم ٦ بإدانة إسرائيل بسبب إنتهاكها بإستمرار لحقوق الإنسان في الأراضي العربية المحتلة وتغيير معالم القدس .

عام ١٩٧٧ : ١٩ نوفمبر ، زيارة الرئيس أنور السادات إلى القدس .

عام ١٩٧٩ : ٢ يوليو ، أول إجتماع للجنة القدس يعقد في مدينة فاس بالمغرب .

عام ١٩٨٠ : ١ مارس محاولة لنسف الحرم القدسي بواسطة كمية من المتفجرات أحضرها بعض رجال الجيش الإسرائيلي إلى مدرسة دينية يهودية مجاورة واكتشفت قبل التفجير .

١٨ مارس ، إسرائيل ترفض إقامة جامعة عربية بالقدس .

٣٠ يوليو ، الكنيست الإسرائيلي يصدر « القانون الأساسي بشأن القدس » الذي يعتبر القدس الموحدة عاصمة إسرائيل الأبدية .

عام ١٩٨٠ : ٢٧ نوفمبر ، قرار مؤتمر القمة العربي الحادي

عشر المنعقد في عمان بقطع العلاقات مع أية دولة تعترف بالقدس لإسرائيل أو تنقل سفارتها إليها .

عام ١٩٨١ : ٥ مارس ، وزير الطاقة الإسرائيلي يقرر تجزئة إمتياز شركة كهرباء القدس وربطه بالشبكة الإسرائيلية .

٢٤ أبريل ، جماعة من اليهود تقتحم المسجد الأقصى للصلاة .

٨ أغسطس ، حكومة بيغن تبدأ تنفيذ إجراءات ضم مدينة القدس الشريف وبعض الوزارات الإسرائيلية تنقل مكاتبها إليها .

عام ١٩٨٢ : ١١ أبريل هجوم إسرائيلي مسلح قام به أحد رجال الجيش الإسرائيلي وآخرون من زملائه على مسجد الصخرة المشرفة وتسبب في إستشهاد اثنين وجرح ٤٤ من المسلمين المتواجدين فيه وحوله .

٢٣ سبتمبر ، قرار مجلس الجامعة رقم ٤٢٠١ بقطع العلاقات مع كوستاريكا لنقل سفارتها من تل أبيب إلى القدس .

١٥ ديسمبر ، قرار لجنة التراث العالمي المتفرعة عن اليونسكو بتسجيل القدس المحتلة على قائمة التراث العالمي المهدد بالخطر .

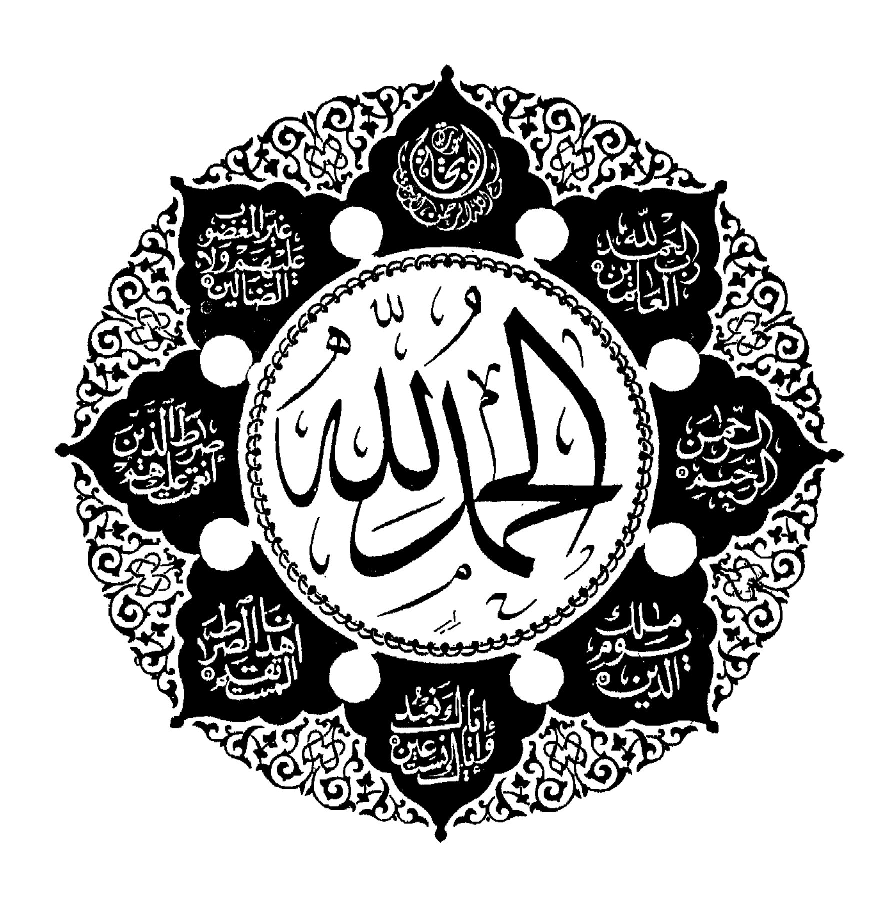
عام ١٩٨٣ : ١١ مارس محاولة نسف ثانية أعد لها فريق يبلغ

٤٦ من الإسرائيليين قاموا بالتسلل إلى أسفل الأقصى من حفريات كانوا قد أعدوها مسبقاً .

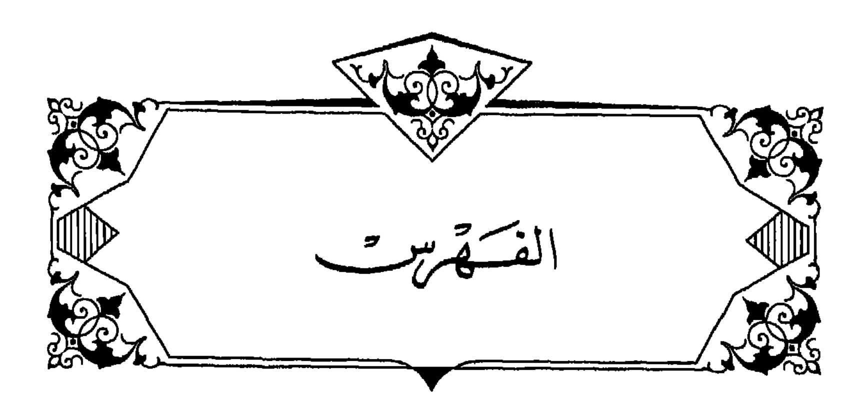
وكانوا يحملون مواد متفجرة تكفي لنسف جميع الأماكن المقدسة داخل الحرم وقد إكتشفهم حرس الأوقاف الإسلامية .

عام ١٩٨٤ : ٢٦ يناير ، محاولة نسف الحرم القدسي الشريف بما فيه من المسجدين الإسلاميين الكبيرين المسجد الأقصى المبارك والصخرة المشرفة من قبل جماعة من الجيش الإسرائيلي فروا لدى إكتشافهم من قبل حرس الحرم وتركوا وراءهم كميات من المتفجرات والأسلحة .

١٨ مايو ، الاحتفال بيوم القدس وفقاً لما أوصت به لجنة القدس في اجتماعها الطارىء بفاس في ١٩ ـ ٢٠ أبريل ١٩٨٤ .



صدق الله العظيم



الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الفيوض الربانية في الرحلة النورانية
معجـــزة الإسـراء والمعـــراج

هذا الكتاب :

في رحلة باحثة في بطون التراث ، يستخرج لنا هذا الكتاب درراً ننهل منها فيوضاً ربانية نعايش معها مقدسات روحانية . .

فإنه يدلف بنا إلى تصوير ما كان من معاناة النبي ﷺ من صلف وعتوّ عابدي الأصنام متعددي الآلهة في فترة ما قبل الإسراء والمعراج . .

ويمضي الزمن . . ويبلغ المشركون المدى في الوحشية فتكون المقاطعة والمحاصرة . . ثم يأتي عام الحزن . . وتبرز أحداث الطائف التي جنح الرسول إليها ليجد عندها النصير فإذا به كالمستجير من الرمضاء بالنار . .

يشكو إلى ربه « اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين . وأنت ربي . . إلى من تكلني . . إلخ » .

يأتي نصر الله إلى رسوله . . فيطيّب خاطره ويجزيه الجزاء الأوفى بمنزلة لم يرق إليها بشر من قبل ولا من بعد . . ويخزي الكافرين . . بالمعجزة التي أذهبت بعقولهم وجعلتهم سكارى وما هم بسكارى ولكن المعجزة خارقة . .

ويأتي البحث في الرحلة المقدسة وافياً متسلسلاً موصولاً خطوة خطوة بدءاً ونهاية . وما جرى أثناءها من رؤى ومشاهد في الأرض والسماء . . منها ما له علاقة بأحوال الآخرة ، ومنها ما يوضح جزاء الذين يعصون الله تبارك وتعالى . يكشف الله ما يستوعب فيه الماضي . . والحاضر . . والمستقبل . . ويريه ما لا عين رأت . . ولا خطر على قلب بشر ، ويورثه علم الأولين والآخرين . .

البراق . . المعراج . . الصائح في الطريق الأول والثاني . . المرأة الناشرة شعرها من كل زينة . . الشاب حسن الثياب . . طيبّ الرائحة . . الأقداح واختيار الفطرة . . السموات السبع والاستفتاح في كل سماء . . الجنة . . النار وعقوبات نساء ورجال لمعاص يرتكبونها . .

رؤية الإمام الشيخ عبد الحليم محمود عن الإسراء والمعلاج . . أقسام الحديث وأنواعه في إصطلاح علماء الحديث .

مكة والمسجد الحرام وبناتهما قديماً وحديثاً . . الكعبة مركز الأرض . . عماراتها قبل الإسلام وبعده سداته الكعبة قبل الإسلام . . أبرهة الحبشي ومحاولة هدم الكعبة . . مقدسات بالكعبة وحولها . .

تاريخ القدس وبناتها . . أهلها الأصليون . . علامات تؤكد الجذور العربية بها . . بناء مسجد الصخرة في عهد الأمويين . . القدس والمسجد الأقصى للعرب أصل . . والإسرائيليون وافدون مغتصبون . . تحرير القدس والقضاء على المؤامرات الإستعمارية على يد صلاح الدين الأيوبي . .

محمد محمود صلاح
« أبو الدرداء »

مكتبة مدبولي
MADBOULI BOOKSHOP

٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة - ت : ٧٥٦٤٢١
6 Talat Harb SQ. Tel. : 756421